تمهيـــد

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون﴾[١]

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدةٍ وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾[٢]

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾[٣].

وبعد؛ فإن كتاب الله عزوجل خير ما اعتنى به المعتنون، واشتغل به المشتغلون، وهو بحر من المعارف زاخر، فيه نبأ من قبلنا، وحكم ما بيننا، وخبر ما بعدنا، من تمسك به نجا، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم، وقد أدرك علماء الإسلام –رحمهم الله– ماله من مكانة فعظموه حق التعظيم، وأفنوا في خدمته الأعمار، تعلماً وعملاً وتعليماً، فألفوا فيه التآليف النافعة القيمة، فمنهم من ألف في تفسيره، ومنهم من ألف في ناسخه ومنسوخه، ومنهم من كتب في أسباب نزوله، وألف آخرون في غريبه، وألف بعضهم في متشابهه، وبعضهم في إعرابه، وكتب آخرون في إعجازه، كما اعتنى بعضهم

(١) آل عمران: ١٠٢

(٢) النساء: ١

(٣) الأحزاب: ٧٠، ٧١

بالكتابة في قراءاته وتجويده، وقد ترك السابقون لمن بعدهم مجالاً رحباً لا لتقصيرهم ولكن لسعة هذا العلم وتعدد فنونه. وقد رأيت الكتابة في فن من فنون القرآن وعلم من علومه تتوقف عليه معرفة معانيه، يحتاجه كل مفسر وكل تال متدبر، ذلك الفن هو ((ضمائر القرآن)) وقد اخترت جزءاً مهماً من هذا الفن هو: ((الضمير الذي يحتمل أكثر من وجه))، وأسميته: ((الضمائر المحتملة في القرآن)) وسأخرجه إن شاء الله في بحوث متلاحقة وهذا أول بحث من هذه البحوث يبدأ من أول القرآن إلى نهاية سورة البقرة. أسأل الله أن يجعله خالصاً لوجهه وأن يحسن عاقبتي وعاقبة كل مسلم إنه جواد كريم.

- أهميته وأسباب اختياره :

من أهم الأسباب التي دعت إلى الكتابة في هذا الموضوع ما يلي:

١– تعلقه بكتاب الله عزوجل، فالعمل فيه خدمة لهذا الكتاب العظيم، ولأهله، وطلابه المشتغلين به، فأقل ما يكون أنني قد جمعت لهم ما تفرق في موطن واحد.

٢– ماله من أهمية في فهم معاني القرآن، فالمفسر إذا لم يتبين له مرد الضمير لايستطيع أن يعرف معنى الآية .

٣– جدة الموضوع، وطرافته،فالموضوع جديد في طرقه، طريف، يستمتع الكاتب بالكتابة فيه، والقارئ بقراءته .

٤– قلة من اعتنى بضمائر القرآن بوجه عام، مع أنها لاتقل أهمية عن الناسخ والمنسوخ، وأسباب النّزول، والإعراب .

- المنهج المتبع لإخراج هذا البحث

يتلخص منهجي في إخراج البحث في ما يلي:

١– استقراء عدد كبير من كتب التفسير وإعراب القرآن التي تهتم بهذا الجانب، ومن ثم جمع المادة العلمية المتفرقة في هذه الكتب.

٢– ترتيب الضمائر حسب ترتيب الآيات، وحسب موقع الضمير في الآية، فأقدم الأول فالأول.

٣– الاكتفاء بكتابة الجزء المشتمل على الضمير من الآية؛ خشية الإطالة.

٤– ذكر اسم السورة، ورقم الآية أمام الجزء المشتمل على الضمير منها.

٥– عرض أقوال العلماء في عود الضمير بشكل واضح مرتب سهل، فمثلاً إذا اختلفوا في عود ضمير ما على ثلاثة أقوال، قلت: اختلفوا في عود الضمير على ثلاثة أقوال. الأول: كذا، والثاني: كذا، والثالث: كذا أو عبارة نحو ذلك .

٦– عند ذكر القول أذكر من قال به أو رجحه من العلماء، وقد أشير أحياناً إلى إعرابه أو إعراب كلمة في الجملة، بناءاً على هذا القول، وذلك عند الحاجة فقط.

٧– اقتصرت على بيان عود الضمير واختلاف العلماء فيه، فلا أخرج عن هذا إلا لحاجة كما ذكرت آنفاً، وذلك نادر والحمد لله.

٨– وثقت أقوال العلماء من كتبهم بذكر الجزء والصفحة.

٩– ذكرت في نهاية الكلام على كل ضمير ما يظهر لي ويترجح عندي في عوده مع بيان أسباب الترجيح إلا في ضمائر يسيرة لم يتبين لي فيها شيء فتوقفت فيها .

١٠– ذكرت أرقام الآيات وعزوتها إلى سورها .

١١– ترجمت لجميع الأعلام على وجه الإيجاز.

١٢– وثقت القراءات المذكورة في البحث من كتب القراءات المعتمدة، مع الإشارة إلى كونها متواترة أو شاذة .

١٣– صدرت كلّ ضمير مختلفٍ فيه برقمٍ يخصه على التوالي .

- خطة البحث

يتكون هذا البحث من مقدمة وأصل، وخاتمة .

أولاً: المقدمة وتشمل:

١– أهمية الموضوع وأسباب اختياره .

٢– خطة البحث .

٣– المنهج المتبع في إخراجه .

ثانياً: أصل الموضوع:

وفيه الكلام على جميع الضمائر المحتملة لأكثر من وجه من أول القرآن العظيم إلى آخر سورة البقرة، مرتبة حسب ترتيب الآيات .

ثالثاً: الخاتمة:

وقد ذكرت فيها أهم النتائج التي خرجت بها من هذا البحث في خمس فقرات .

رابعاً: الفهارس.

وتشمل:

١– فهرس الآيات المفسرة

٢– فهرس الآيات المتشهد بها .

٤– فهرس المصادر والمراجع .

١ – قوله تعالى: ﴿ذهب الله بنورهم﴾ [البقرة: ١٧]

في مرجع الضمير من (نورهم) قولان لأهل التفسير:

الأول: أنه عائد على الذي لأن معناه معنى الجمع، وهذا ما رجحه الزمخشري[١][٢] والعكبري[٣][٤]، والنسفي[٥][٦]، والبيضاوي[٧][٨]، والسمين الحلبي[٩][١٠].

---

(١) أبو القاسم، جار الله، محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي، عالم بالعربية والنحو، كان رأساً في الاعتزال مات ٥٣٨هـ. انظر السير: ١٥١/٢٠، وبغية الوعاة: ٢٧٩/٢ وطبقات المفسرين: ٣١٤/٢.

(٢) انظر تفسيره: ٣٨/١

(٣) العلامة أبو البقاء، محب الدين،عبدالله بن الحسين العكبري ثم البغدادي الأزجي الضرير النحوي، الفرضي المتوفي ٦١٦هـ. انظر السير: ٩١/٢٢ وطبقات المفسرين: ٢٣١/١ .

(٤) انظر التبيان: ٣٢/١

(٥) أبو البركات، عبدالله بن أحمد بن محمود، النسفي، الحنفي، مات ٧١٠هـ، انظر هدية العارفين: ٤٦٤/٥.

(٦) انظر تفسيره: ٢٣/١

(٧) أبو الخير، عبدالله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، ولي قضاء شيراز مدة من الزمن. مات ٦٨٥هـ وقيل: ٦٩١هـ، انظر البداية والنهاية: ٣٠٩/١٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٥٧/٨، وطبقات المفسرين: ٢١٨/١ .

(٨) انظر تفسيره: ٤٩/١

(٩) أبو العباس، أحمد بن يوسف، بن عبدالدايم الحلبي، مفسر، عالم بالعربية، والقراءات من أهل حلب، استقر واشتهر في القاهرة مات ٧٥٦هـ. انظر طبقات المفسرين: ١٠١/١.

(١٠) انظر الدر المصون: ١٦٣/١

الثاني: أنه عائد إلى محذوف، والتقدير: (كمثل أصحاب الذي)؛ ليتطابق المشبه والمشبه به، لأن المشبه جمع، فلو لم يقدر هذا المضاف، وهو (أصحاب) لزم أن يشبه الجمع بالمفرد، وهو الذي استوقد. ذكر هذا السمين[1].

والراجح – والله أعلم – القول الأول لأنه لامانع من تشبيه الجمع بالمفرد في صفة جامعة بينهما، ثم إن المشبه والمشبه به إنما هو القصتان، فالتشبيه واقع بين قصتين، إحداهما مضافة لجمع والأخرى لمفرد[2]. أما موقع المفرد هنا موقع الجمع فذكر العكبري في ذلك وجهين:

الأول: أن الذي هنا اسم جنس مثل من وما، فيعود الضمير إليه تارةً بلفظ المفرد وتارةً بلفظ الجمع.

الثاني: أنه أراد الذين فحذفت النون؛ لطول الكلام بالصلة، ومثله قوله– تعالى–: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به﴾ ثم قال: ﴿أولئك هم المتقون﴾[3][4].

٢– قوله تعالى: ﴿ فأتوا بسورة من مثله ﴾ [البقرة: ٢٣]

للمفسرين في ضمير (مثله) أربعة أقوال:

الأول: ما ذهب إليه مجاهد[5]، وقتادة[6] –رحمهما الله–، وهو منسوب إلى

(١) انظر المرجع السابق: ١/١٦٣

(٢) انظر المصدر السابق: ١/١٦٣

(٣) الزمر: ٣٣

(٤) انظر التبيان: ١/٣٢-٣٣

(٥) هو كبير تلاميذ ابن عباس –رضي الله عنهما–، أبو الحجاج مجاهد بن جبر، مولى قيس بن السائب المخزومي، كان قارئاً مفسراً – رحمه الله– توفي ٢٠٤هـ. انظر طبقات بن سعد: ٥/٤٦٦، وسير أعلام النبلاء: ٤/٤٤٩.

(٦) أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن عزيز، السدوسي، البصري، مفسر حافظ توفي =

ابن عباس[١] –رضي الله عنهما–، أنه عائد على المنـــزل[٢] .وعليه تكون (من) للتبعيض أو بيان الجنس[٣]. وأجاز ابن عطية[٤]، والعكبري أن تكون صلة[٥]. والمعنى: فأتوا بسورةٍ من كتابٍ مثل القرآن .

الثاني: أنه عائد على (عبدنا)، معنى(من) على هذا القول ابتداء الغاية[٦] وأجاز القرطبي[٧] أن تكون للتبعيض[٨] والمعنى فأتوا بسورةٍ من بشرٍمثله.

الثالث: قال العكبري[٩]: ويجوز أن تعود على الأنداد بلفظ المفرد، كقوله تعالى: ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه﴾[١٠] أهـ. والمعنى: فأتوا بسورةٍ من

= ١١٨هـ. انظر سير أعلام النبلاء: ٢٦٩/٥ . وطبقات المفسرين: ٣٠٥/١.

(١) ابن عم رسول الله ﷺ، وحبر هذه الأمة، أبو العباس، عبد الله بن العباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي– رضي الله عنه وعن أبيه–، مات سنة ٦٨هـ على الصحيح. انظر الإصابة: ٣٢٢/٢-٣٢٦، وطبقات المفسرين: ٢٣٩/١.

(٢) انظر ابن جرير: ٣٧٣/١-٣٧٤. والسمعاني: ٥٩/١. وابن كثير: ٦٣/١.

(٣) انظر الدر المصون: ٢٠٠/١، وابن عطية: ١٠٦/١، والتبيان: ٤٠/١.

(٤) أبو محمد، عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن عطية المحاربي الغرناطي، كان مفسراً فقيهاً عارفاً بالأحكام والحديث توفي ٥٤١هـ –رحمه الله. انظر السير: ٥٨٧/١٩، وطبقات المفسرين: ٢٦٥/١.

(٥) انظر المحرر الوجيز: ١٠٦/١. وإعراب القرآن وبيانه: ٤٠/١

(٦) انظر الدر المصون: ٢٠٠/١، والبيضاوي: ٥٧/١، وزاد المسير: ٥٠/١

(٧) أبو عبدالله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي فقيه، مفسر بارع، مات سنة ٦٧١هـ، انظر طبقات المفسرين: ٢٦٥/١ .

(٨) انظر الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٢/١.

(٩) إعراب القرآن: ٤٠/١

(١٠) النحل: ٦٦

مثل تلك الأنداد.

الرابع: أنه يعود على التوراة والإنجيل، فالمعنى فأتوا بسورةٍ من كتاب مثله فإنها تصدق ما فيه. وتكون من على هذا للتبعيض[1] .

والراجح القول الأول لما يأتي:

١– أن ذلك ظاهر الآية، لأن الكلام فيه لافي المنـــزل عليه، فحقه ألا ينفك عنه ؛ ليتسق الترتيب والنظم[2].

٢– أن لهذه الآية نظائر تبين أن التحدي بالمنـــزل لا بالمنـــزل عليه، كقوله: ﴿فأتوا بسورة مثله﴾[3] وقوله –سبحانه–: ﴿فأتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾[4] وقوله –عزوجل–: ﴿على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله﴾[5][6]

٣– أن هذا تفسير الصحابة والتابعين كما سبق، وهم القوم الذين لايعدل عن فهمهم.

٤– أن الإعجاز على هذا الوجه أقوى والتحدي أكمل وأشمل، فهو تحدٍ لهم متفرقين ومجتمعين سواء في ذلك أميهم وكتابيهم[7].

٥– أن رده إلى (عبـــدنا) يـــوهم إمكـــان صدوره ممن ليس على صفته.

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن: ٢٢٣/١. والمحرر الوحيز: ١٠٧/١ .

(٢) انظر البيضاوي: ٥٧/١. والنسفي: ٣١/١، والبحر: ١٦٩/١، والكشاف: ٤٨/١.

(٣) يونس: ٣٨

(٤) هود: ١٣

(٥) الإسراء: ٨٨

(٦) انظر ابن جرير: ٣٧٤/١ والكشاف: ٤٨/١. والبيضاوي: ٥٧/١. والنسفي: ٣١/١ والبحر: ١٦٩/١. وابن كثير: ٦٣/١.

(٧) انظر ابن كثير: ٦٣/١، والبيضاوي: ٥٧/١. والبحر: ١٧٠/١

ولا يلائمه قوله تعالى: ﴿وادعو شهداءكم من دون الله﴾[١]، فإنه أمر بأن يستيعنوا بكل من ينصرهم ويعينهم[٢].

٦- أن هذا اختيار الجم الغفير من علماء التفسير، ومتفق عليه بين المحققين منهم[٣].

٣- قوله تعالى: ﴿وبشر الذين آمنوا﴾ [البقرة: ٢٥]

اختلفوا في ضمير المخاطب على قولين:

الأول: أنه للنبي ﷺ، وهذا ما رجحه ابن جرير[٤]، وأبوحيان[٥]، والسمين الحلبي[٦] -رحمهم الله- قال أبو حيان - بعد أن ذكر الاحتمالين -: والوجه الأول عندي أولى، لأن أمره ﷺ لخصوصيته بالبشارة أفخم وأجزل، وكأنه ما اتكل على أن يبشر المؤمنين كل سامع، بل نص على أعظهم وأصدقهم ليكون ذلك أوثق عندهم وأقطع في الإخبار بهذه البشارة العظيمـــة، إذ تبشيره ﷺ

(١) البقرة: ٢٣

(٢) انظر البيضاوي: ٥٧/١

(٣) انظر ابن جرير: ٣٧٤/١، وابن كثير: ٦٣/١. والبحر ١٦٩/١ والكشاف: ٤٨/١، والبيضاوي: ٥٧/١. والنسفي: ٣١/١ .

(٤) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، المؤرخ المشهور، والمفسر الكبير، صاحب العلم الغزير والتحقيق البديع، مات سنة ٣١٠هـ، انظر السير: ٢٦٧/١٤ . وطبقات المفسرين: ١١٠/٢.

(٥) محمد بن يوسف، بن علي، بن يوسف، الغرناطي، الأندلسي، الجياني، من أكابر علماء العربية والتفسير والتراجم مات سنة ٧٤٥هـ. انظر طبقات المفسرين: ٢٨/٢.

(٦) انظر الطبري: ٣٨٣/١. والبحر: ١٧٩/١، والدر المصون: ٢١١/١.

تبشير من الله تعالى[1] أهـ.

الثاني: أنه لكل من يصلح للبشارة من غير تعيين، وهذا ما رجحه الزمخشري، والنسفي– رحمهما الله– وقالا: وهذا الـــوجه أحسن وأجزل لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمه وفخامته محقوق بأن يبشر به كل من قدر على البشارة به[2].

والذي يظهر لي أن الخطاب لكل من يصلح له، وفي مقدمتهم من أنزل عليه الوحي ﷺ، فالتبشير والإنذار ليس مقصوراً على الأنبياء، بل مأمور به كل من قدر عليه؛ لأنه من الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى.

٤– قوله تعالى: ﴿وأتوا به متشابهاً﴾ [البقرة: ٢٥]

اختلف علماء التفسير في عود الضمير في كلمة (به) على قولين:

الأول: أنه عائد على المرزوق في الجنة وهذا ما ذكره ابن جرير، وأبو حيان، وابن عاشور[3]،والسمين الحلبي[4] .

الثاني: أنه يعود إلى المرزوق في الدنيا والآخرة ؛ لأن قوله: ﴿هذا الذي رزقنا من قبل﴾ انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين. ورجحه الزمخشري والبيضاوي،

(١) انظر البحر: ١/١٧٩.

(٢) انظر الكشاف: ١/٥١، والنسفي: ١/٣٢ .

(٣) محمد بن الطاهر بن عاشور، شيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مات سنة ١٣٩٣هـ. انظر الأعلام: ٦/١٧٤ .

(٤) انظـــر ابن جرير: ١/٣٨٩ . والبحـــر: ١/١٨٧، والتحـــرير والتنوير: ١/٣٥٧، والدر المصون: ١/٢١٧.

والنسفي[١] .

والراجح القول الأول؛ لأنه ظاهر الآية، فهو المحدث عنه، والمشبه بالذي رزقوه من قبل، مع أنه إذا فسرت القبلية بما في الجنة تعين ألا يعود الضمير إلا إلى المرزوق فيها [٢].

ويؤيده أن الكلام عن المأتي به في الجنة والمأتى به رزقها لازرق الدنيا والله أعلم.

٥– قوله تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم﴾ [البقرة: ٢٦]

اختلف المفسرون في عود الهاء من (أنه) على ثلاثة أقوال:

الأول: أنه عائد إلى المثل وهذا قول الربيع بن أنس[٣] وقتادة رحمهما الله[٤] وهو اختيار ابن جرير[٥]، وأبي حيان[٦]، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ماذا أراد الله بهذا مثلاً﴾[٧] .

الثاني: أنه يعود إلى ضرب المثل، ذكر هذا أبو حيان[٨]، والسمين[٩] وجوزه

(١) انظر الكشاف: ١/٥٣، وأنوار التنْزيل: ١/٦١. ومدارك التنْزيل: ١/٣٤ .

(٢) انظر البحر: ١/١٨٧.

(٣) الربيع بن أنس بن زياد البكري، الخراساني ويقال: البصري، مات: ١٣٩هـ. انظر سير أعلام النبلاء: ٦/١٦٩-١٧٠، وتهذيب التهذيب: ٣/٢٠٧ .

(٤) انظر تفسير ابن جرير: ١ / ٤٠٦-٤٠٧

(٥) انظر المرجع السابق: ١/٤٠٦

(٦) انظر البحر: ١/٢٠٠

(٧) البقرة: ٢٦

(٨) انظر البحر: ١/٢٠٠

(٩) انظر الدر المصون: ١/٢٢٩

البيضاوي[١]، والنسفي[٢] .

الثالث: أنه يعود إلى انتفاء الاستحياء، ذكره أبو حيان[٣]، والسمين[٤].

والراجح –والله أعلم– هو القول الأول؛ لأنه المفهوم من السياق وقول متقدمي المفسرين.

٦– قوله تعالى:﴿يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين﴾[البقرة: ٢٦]

اختلف المفسرون في مرجع الهاء من (به) على قولين:

الأول: أنها تعود إلى المثل. أي: يضل بضرب هذا المثل كثيراً من الناس ويهدي به كثيراً منهم. وهذا ما رجحه ابن جرير[٥]، وأبو حيان[٦]،والسمين[٧].

الثاني: أن الضمير في به من قوله (يضل به) عائد إلى التكذيب، وفي ﴿يهدي به﴾ عائد إلى التصديق. ذكر هذا أبو حيان[٨]، والسمين[٩].

والراجح القول الأول لأنه هو المفهوم من السياق أما الثاني ففيه تكلف لايخفى . والله أعلم .

(١) انظر تفسيره: ١/٦٣

(٢) انظر تفسيره: ١/٦٣

(٣) انظر تفسيره: ١/٢٠٠

(٤) انظر الدر المصون: ١/٢٢٩

(٥) انظر تفسيره: ١/٤٠٨

(٦) انظر تفسيره: ١/٢٠٣

(٧) انظر الدر المصون: ١/٢٣٢

(٨) انظر تفسيره: ١/٢٠٣

(٩) انظر الدر المصون: ١/٢٣٢

٧– قوله تعالى: ﴿من بعد ميثاقه﴾ [البقرة: ٢٧]

اختلف في عود الهاء من (ميثاقه) على قولين:

الأول: أنها تعود إلى اسم الله تبـــارك وتعالى، وهذا اختيار ابن جرير[١] – رحمه الله–، أي: من بعد توثيق الله العهد عليهم.

الثاني: أنها تعود إلى العهد، وهذا ما رجحه أبو حيان[٢]؛ لأن الحديث عن العهد، أي: من بعد توثيق العهد عليهم.

والراجح– والله أعلم– أن الضمير يحتمل الأمرين، وكلا التفسيرين صحيح، قال العكبري: والهاء تعود على اسم الله ؛ أو على العهد؛ فإن أعدها إلى اسم الله كان المصدر مضافاً إلى الفاعل، وإن أعدها إلى العهد كان مضافاً إلى المفعول[٣] أهـ.

فالميثاق عنده مصدر . وجوز الوجهين الزمخشري[٤] والسمين[٥].

٨– قوله تعالى: ﴿ثم إليه ترجعون﴾ [البقرة: ٢٨]

اختلف في عود الهاء من (إليه) على أربعة أقوال:

الأول: أنهـــا تعـــود إلـــى اســـم الله تعـــالى، رجحه الـــزجاج[٦][٧]،

(١) انظر تفسيره: ١/٤١٤

(٢) انظر تفسيره: ١/٢٠٦

(٣) انظر التبيان: ١/٤٤

(٤) انظر تفسيره: ١/٥٩

(٥) انظر الدر المصون: ١/٢٣٥

(٦) أبو إسحاق إبراهيم بن السرى بن سهل، من أهل الفضل والدين، كان عالماً بالنحو والعربية. مات ٣١١هـ . انظر: السير: ١٤/٣٦٠، وبغية الوعاة: ١/٤١١.

(٧) انظرمعاني القرآن: ١/١٠٦

والعكبري[1]، وأبو حيان[2]، والسمين[3]. لأن الضمائر السابقة تعود عليه – سبحانه[4].

الثاني: أنها تعود إلى الجزاء على الأعمال، ذكره أبو حيان[5]، والسمين[6].

الثالث: أنها تعود إلى المكان الذي يتولى الله الحكم بينهم فيه، ذكره أبو حيان[7]، والسمين[8].

الرابع: أنها تعود إلى الإحياء المفهوم من قوله ﴿فأحياكم﴾ . والمعنى: أنكم ترجعون بعد الحياة الثانية إلى الحال التي كنتم عليها في ابتداء الحياة الأولى، من كونكم لاتملكون لأنفسكم شيئاً. جوز هذا الوجه العكبري[9].

والراجح –والله أعلم– القول الأول؛ لأنه هو المفهوم من ظاهر الآية، ولأنه نسق الضمائر السابقة .

٩– قوله تعالى: ﴿فسواهن سبع سموات﴾ [البقرة: ٢٩]

الضمير في قوله: (سواهن) راجع إلى السماء، في قول عامة أهل التأويل؛

(١) انظر التبيان: ١/٤٥

(٢) انظر تفسيره: ١/٢١٣

(٣) انظر الدر المصون: ١/٢٤٠

(٤) انظر البحر: ١/٢١٣، والدر المصون: ١/٢٤٠ .

(٥) انظر تفسيره: ١/٢١٣

(٦) انظر الدر المصون: ١/٢٤٠

(٧) انظر تفسيره: ١/٢١٣

(٨) انظر الدر المصون: ١/٢٤٠

(٩) انظر التبيان: ١/٤٥

لأن السماء لفظها لفظ الواحد، ومعناها معنى الجمع[١].

وقال الزمخشري: والضمير في ﴿سواهن﴾ ضمير مبهم، و﴿سبع سموات﴾ تفسيره، كقولهم: ربه رجلاً. وقيل: الضمير راجع إلى السماء، والسماء في معنى الجنس، وقيل جمع سماءة، والوجه العربي هو الأول[٢] أهـ. ومفهوم كلامه أنه يرد الضمير على ما بعده، ويفسره به، فهو عائد – على قوله– إلى غير متقدم[٣].

ويفهم من كلام الشوكاني[٤] –رحمه الله– ترجيح هذا المذهب، حيث قال: ((والضمير في قوله: (سواهن) مبهم يفسره ما بعده كقولهم: ربه[٥] رجلاً . وقيل: إنه راجع إلى السماء ؛ لأنها في معنى الجنس)) أهـ[٦].

وما ذهب إليه الزمخشري بعيد –والله أعلم–. قال أبو حيان: ((وهذا الذي يفسره ما بعده: منه ما يفسر بجملة، وهو ضمير الشأن أو القصة ... ومنه ما يفسر بمفرد، أي: غير جملة وهو الضمير المرفوع بنعم وبئس، وما جرى مجراهما. والضمير المجرور برب، والضمير المرفوع بأول المتنازعين، على مذهب البصريين، والضمير المجعول خبره مفسراً، له، والضمير الذي ابدل منه مفسره. وفي إثبات

(١) انظر ابن جرير: ١/٤٣١. والقرطبي: ١/٢٦٠، وابن عطية: ١/١١٥، وابن كثير: ١/٧١، وزاد المسير: ١/٥٨، والبحر: ١/٢١٨، والسمين: ١/٢٤٣. والزجاج: ١/١٠٧.

(٢) الكشاف: ١/٦١ .

(٣) انظر البحر: ١/٢١٨ .

(٤) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد، ذو باع طويل في التفسير وأصول الفقه وعلوم الشريعة من أهل صنعاء مات ١٢٥٠ هـ. انظر الأعلام: ٦/٢٩٨.

(٥) في تفسيره (زيد) والصواب ما أثبته .

(٦) فتح القدير: ١/١٢٠ .

هذا القسم الأخير خلاف وذلك نحو: ضربتهم قومك. وهذا الذي ذكره الزمخشري ليس واحداً من هذه الضمائر التي سردناها، إلا إن تخيل فيه أن يكون سبع سموات بدلاً منه ومفسراً له، وهو الذي يقتضيه تشبيه الزمخشري له بربه رجلاً، وأنه ضمير مبهم ليس عائداً على شيء قبله. لكن هذا يضعف بكون هذا التقدير يجعله غير مرتبط بما قبله ارتباطاً كلياً، إذ يكون الكلام قد تضمن أنه تعالى استوى إلى السماء، وأنه سوى سبع سموات عقيب استوائه إلى السماء، فيكون قد أخبر بإخبارين : أحدهما استواؤه إلى السماء. والآخر: تسويته سبع سموات. وظاهر الكلام أن الذي استوى إليه هو بعينه المستوى سبع سموات»أهـ.[1] ويؤيد هذا أن عامة أهل التأويل على خلاف قول الزمخشري كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وهو مذهب ظاهر التكلف –والله أعلم.

وأحسن ما يعرب به (سبع سموات) أنه بدل من الضمير. ومنهم من أعربه حالاً، ومنهم من أعربه مفعولاً به، وأعربه آخرون مفعولاً ثانياً[2] وقد ضعف أبو حيان الأخيرين واختار الأول[3] واختاره السمين الحلبي أيضاً[4] .

١٠– قوله تعالى: ﴿فأزلهما الشيطان عنها﴾ [البقرة: ٣٦]

قال ابن كثير[5] –رحمه الله–: يصح أن يكون الضمير في قوله ﴿عنها﴾

(١) البحر: ٢١٨/١

(٢) انظر التبيان: ٤٥/١، والبحر: ٢١٨/١، والدر المصون: ٢٤٤/١ .

(٣) انظر البحر: ٢١٨/١

(٤) انظر الدر المصون: ٢٤٤/١

(٥) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل، بن عمر، بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصري، ثم الدمشقي، مات: ٧٧٤هـ، انظر طبقات المفسرين: ١١١/١ .

عائداً إلى الجنة، فيكون معنى الكلام كما قرأ حمزة[١]﴿فأزالهما[٢]﴾ أي: نحاهما. ويصح أن يكون عائداً على أقرب المذكورين، وهو الشجرة، فيكون معنى الكلام كما قال الحسن[٣]، وقتادة: فأزلهما أي: من قبل الزلل، فعلى هذا يكون تقدير الكلام ﴿فأزلهما الشيطان عنها﴾ أي: بسببها، كما قال تعالى: ﴿يؤفك عنه من أفك﴾[٤] أي: يصرف بسببه من هو مأفوك [٥] أهـ .

وقيل: عائد إلى الطاعة بدليل قوله تعالى ﴿وعصى آدم ربه﴾[٦] . فيكون إذ ذاك الضمير عائداً على غير مذكور، إلا على ما يفهم من قوله تعالى ﴿ولاتقربا﴾[٧]، لأن المعنى: أطيعاني بعدم قربان الشجرة[٨].

وقيل: عائد إلى الحالة التي كانوا عليها، من التفكه والرفاهية والتبوء من الجنة[٩].

---

(١) أبو عمارة، حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، أحد القراء السبعة، وكان إماماً حجة قائماً بكتاب الله تعالى حافظاً للحديث بصيراً بالفرائض والعربية مات: ١٥٦هـ. انظره في معرفة القراء الكبار ١/١١١ .

(٢) انظر حجة القراءات ص ٩٤ .

(٣) أبو سعيد، الحسن بن أبي الحسن يسار مولى زيد بن ثابت الأنصاري –رضي الله عنه– مات: ١٢٠هـ انظر السير: ٤/٥٦٣ .

(٤) الذاريات ٩ .

(٥) انظر تفسيره: ١/٨٣.

(٦) طه: ١٢١

(٧) البقرة: ٣٥

(٨) انظر البحر: ١/١٦٢، والدر المصون: ١/ ٢٨٨

(٩) انظر المراجع السابقة

وقيل: عائد إلى السماء[1]. قال أبوحيان: وهو بعيد[2]. وضعف السمين الحلبي هذه الأقوال عدا القولين الأولين حيث قال: «وقيل: الضمير للطاعة، أو الحالة، أو للسماء، وإن لم يجر لها ذكر؛ لدلالة السياق عليها. وهذا بعيد جداً»[3] أهـ

قلت: وهو كما قال –يرحمه الله– فإنه لايخفى ما في هذه الأقوال من التكلف؛ ولذلك أعرض عن ذكرها كثير من علماء التفسير. فبقي الترجيح بين القولين الأولين، ولكل منهما حظ من النظر، وقد رجح عود الضمير على الجنة أبو المظفر السمعاني[4][5] والبغوي[6][7]، والسمين الحلبي[8] . ورجح عوده على الشجرة أبو حيان[9]، والزمخشري[10]، والنسفي[11]. والذي يظهر لي–والله

(١) انظر المراجع السابقة

(٢) البحر: ١٦٢/١

(٣) الدر المصون: ٢٨٨/١

(٤) الإمام الجليل العلامة منصور بن محمد بن عبدالجبار بن أحمد التميمي المروزي المتوفي ٤٨٩هـ. انظر طبقات السبكي: ٣٣٥/٥، وطبقات المفسرين: ٣٣٩/٢ والأنساب: ٢٩٩/٣

(٥) انظر تفسيره: ٦٩/١ .

(٦) الإمام الجليل، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي المتوفي ٥١٦ هـ انظر تذكرة الحفاظ: ١٢٥٧/٤. وفيات الأعيان: ١٣٦/٢وطبقات الحفاظ: ص ٤٥٧، وطبقات المفسرين: ١٦٠/٢

(٧) انظر معالم التّنْزيل: ٨٣/١ .

(٨) انظر الدر المصون: ٢٨٨/١.

(٩) انظر البحر: ٢٦٢/١ .

(١٠) انظر الكشاف: ٦٣/١ .

(١١) انظر تفسيره: ٤٢/١ – ٤٣ .

أعلم– أن عود الضمير على الجنة أقرب ويؤيد ذلك قراءة حمزة كما سبق . قال ابن عطية: ((وأما من قرأ (أزالهما) فإنه يعود على الجنة فقط)) أه[١].

١١– قوله تعالى: ﴿وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو﴾ [البقرة: ٣٦]

اختلفوا في المخاطب بالهبوط، بعد إجماعهم على أن آدم وحواء ممن عني[٢] بذلك . على أقوال محصلتها أربعة:

الأول: أنه آدم وحواء وإبليس والحية قاله السدي، وروي عن ابن عباس –رضي الله عنهما[٣].

الثاني: أنه آدم، وذريته، وإبليس، وذريته، قاله مجاهد، وابن زيد[٤].

الثالث: أنه آدم، وحواء، والوسوسة[٥]. قال السمين: وفيه بعد[٦]. قلت: وبعده ظاهر كما قال.

الرابع: إلى آدم وحواء وذريتهما قاله الفراء[٧] ورجحه الزمخشري[٨].

والذي يظهر لي – والله أعلم – أن المراد آدم، وزوجه، وإبليس؛ لأن الحديث عنهم ويدل عليه قوله تعالى (جميعاً) فهذا يشمل آدم وحواء وإبليس.

(١) المحرر الوجيز: ١/١٢٩، وانظر تفسير البيضاوي: ١/٧٢ .

(٢) انظر ابن جرير: ١/٥٣٥ .

(٣) انظر ابن جرير: ١/٥٣٥-٥٣٦ . وزاد المسير: ١/٦٨ .

(٤) انظر ابن جرير: ١/٥٣٦، وزاد المسير: ١/٦٨ .

(٥) انظر زاد المسير: ١/٦٨، والبحر: ١/٢٦٣ .

(٦) انظر الدر المصون: ١/٢٩٠ .

(٧) انظر معاني القرآن: ١/١٣١ .

(٨) انظر الكشاف: ١/٦٣ .

أما الحية فإنه لم يجر لها ذكر في الآيات، وهذا قول مجاهد، وابن زيد، كما سبق، وهو ما رجحه الزجاج(١)، وابن عطية(٢).

١٢– قوله تعالى: ﴿قلنا اهبطوا منها﴾ [البقرة: ٣٨]

اختلفوا في مرجع الضمير في (منها) على قولين:

الأول: أنه يعود إلى الجنة، وهذا ما رجحه ابن جرير(٣)، وأبوحيان(٤).

الثاني: أنه يعود إلى السماء . ذكره أبو حيان(٥)، والسمين(٦).

والظاهر الأول لأنه المفهوم من السياق .

١٣– قوله تعالى: ﴿ولا تكونوا أول كافر به﴾[البقرة: ٤١]

للعلماء في الهاء في (به) أربعة أقوال:

الأول: أنها تعود على الموصول في (بما أنزلت) . أي: القرآن وهذا مذهب ابن عباس، وابن مسعود(٧) –رضي الله عنهم(٨)–، وقول ابن جريج(٩) –رحمه

(١) انظر معاني القرآن: ١/١١٥ .

(٢) انظر المحرر الوجيز: ١/١٣١.

(٣) انظر تفسيره: ١/٥٣٥ .

(٤) انظر تفسيره: ١/٢٧٠ .

(٥) انظر تفسيره: ١/٢٧٠ .

(٦) انظر الدر المصون: ١/٢٩٧ .

(٧) أبو عبدالرحمن عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب، الهذلي، حليف بني زهرة، صحابي جليل مشهور مات٣٢هـ على الصحيح انظر الإصابة ٢/٣٩١، السير١/٤٦١

(٨) انظر زاد المسير: ١/٧٤

(٩) أبو الوليد، عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج، فقيه الحرم المكي، كان إمام أهل الحجاز في عصره، رومي الأصل من موالي قريش. قال الذهبي: كان ثبتاً لكنه يدلس. مات ١٥٠هـ، =

الله[١]–، وقد رجحه ابن جرير[٢]، والبغوي[٣]،والنسفي[٤]، وأبو حيان[٥]، والسمين الحلبي[٦]. وابن عاشور[٧].

الثاني: أنها تعود على النبي ﷺ وهذا مروي عن أبي العالية[٨]، والحسن، والسدي[٩]، والربيع بن أنس[١٠] .

ويفهم من كلام الشوكاني ترجحيه؛ حيث فسره بذلك، ثم حكى الأقوال الأخرى بصيغة التمريض[١١].

= انظر السير: ٣٢٥/٦، والأعلام: ١٦٠/٤.

(١) انظر ابن جرير: ٥٦٣/١

(٢) انظر تفسيره: ٥٦٣/١-٥٦٤

(٣) انظر تفسيره: ٨٧/١

(٤) انظر تفسيره: ٤٥/١

(٥) انظر تفسيره: ٢٨٨/١

(٦) انظر تفسيره: ٣١٨/١

(٧) انظر تفسيره: ٤٦٢/١

(٨) هو رفيع بن مهران الإمام المقري الحافظ المفسر، أبو العالية الرياحي البصري، كان مولى لامرأة من بني رياح بن يربوع، ثم من بني تميم، أدرك زمن النبي -ﷺ- وهو شاب، وأسلم في خلافة الصديق -رضي الله عنه- ومات: ٩٠هـ. وقيل ٩٣هـ . انظر طبقات بن سعد: ١١٢/٧. والسير: ٢٠٧/٤ وطبقات المفسرين: ١٧٨/١ .

(٩) أبو محمد، إسماعيل بن عبدالرحمن السدي تابعي، حجازي الأصل، سكن الكوفة، وهو من موالي قريش، وثقة أحمد وكثير من العلماء . مات: ١٢٧هـ انظر السير: ٢٦٤/٥. وطبقات المفسرين: ١١٠/١ .

(١٠) انظر تفسير ابن أبي حاتم: ١٤٥/١ وابن جرير: ٥٦٣/١، والدر المنثور: ١٢٥/١.

(١١) انظر فتح القدير: ١٣٦/١

الثالث: أنها ترجع إلى الموصول في (لما معكم)[1].

الرابع: أنها عائدة إلى النعمة، على معنى الإحسان، ولذلك ذُكِّر الضمير. قاله الزجاج[2].

والراجح القول الأول؛ لأن الأمر في الآية بالإيمان بالمنـــزل، فكذلك النهي يكون عائداً إليه. ولأنه أقرب، وهو منطوق به، مقصود للحديث عنه، بخلاف الأقوال الأخرى، فهي من ظاهر التلاوة بعيدة . والله أعلم.[3]

١٤– قوله تعالى: ﴿وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ [البقرة: ٤٥]

اختلف في الضمير في قوله (وإنها) على سبعة أقوال:

الأول: أنه يرجع إلى الصلاة، وهذا مذهب مجاهد –رحمه الله–[4] ونسبه ابن الجوزي[5] إلى ابن عباس – رضي الله عنهما –، والحسن – رحمه الله – والجمهور[6]، وقد رجحه ابن جرير[7]، وأبو حيان[8]، والزجاج[9].

(١) انظـــر البحر: ٢٨٨/١، والمحـــرر الوجيـــز: ١٣٤/١، والـــدر المصون: ٣١٨/١ والدر المنثور: ١٢٥/١.

(٢) انظر معاني القرآن: ١٢٢/١

(٣) انظر ابن جرير: ٥٦٣/١-٥٦٤ . والبحر: ٢٨٨/١ .

(٤) انظر تفسير ابن أبي حاتم: ١٥٥/١

(٥) أبو الفرج، جمال الدين، عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي المتوفي ٥٩٧هـ، انظر السير: ٣٦٥/٢١ وطبقات المفسرين: ٢٧٥/١ .

(٦) انظر زاد المسير: ٧٦/١

(٧) انظر تفسيره: ١٥/٢

(٨) انظر تفسيره: ٢٩٩/١

(٩) انظر معاني القرآن: ١٢٥/١

الثاني: أنه يعود إلى الاستعانة، أي المصدر المفهوم من قوله تعالى: ﴿واستعينوا﴾[١].

الثالث: يعود على إجابة الرسولﷺ؛ لأن الصبر والصلاة مما كان يدعو إليه[٢].

الرابع: أنه يعود إلى العبادة التي تضمنها ذكر الصبر والصلاة [٣].

الخامس: أنه يعود إلى الكعبة ؛ لأن الأمر بالصلاة إليها [٤].

السادس: يعود إلى جميع الأمور التي أمر بها بنو إسرائيل، ونهوا عنها[٥].

السابع: أنه يعود إلى الأمرين الصبر والصلاة ولكنه اكتفى بعوده إلى أحدهما[٦].

والراجح القول الأول لأمور:

الأول: أنه تفسير المتقدمين من السلف، وهو قول الجمهور كما سبق.

الثاني: أن هذا الظاهر من السياق، والقاعدة في علم العربية أن ضمير الغائب لايعود على غير الأقرب، إلا بدليل[٧].

الثالث: أن ذكر الخاشعين بعد ذلك قرينة قوية على أن المراد الصلاة؛ لأن الخشوع متعلق بها، لا بالصبر .

(١) انظر: القرطبي:١/٣٧٤، والبحر:١/٢٩٩، والدر المصون:١/٣٣٠، وزاد المسير:١/٧٦.

(٢) انظر البحر: ١/٢٩٩، والقرطبي: ١/٣٧٤، والنكت والعيون: ١/١١٦.

(٣) انظر القرطبي: ١/٣٧٤، والبحر: ١/٢٩٩. والدر المصون: ١/٣٣٠.

(٤) انظر المراجع السابقة.

(٥) انظر البحر: ١/٢٩٩ . والتحرير والتنوير: ١/٤٧٩ .

(٦) انظر القرطبي: ١/٣٧٤، والبحر: ١/٢٩٩، والدر المصون: ١/٣٣٠ .

(٧) انظر البحر: ١/٢٩٩ .

١٥ – قوله تعالى: ﴿الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون﴾ [البقرة: ٤٦]

للعلماء في الهاء من (إليه) أربعة أقوال:

الأول: أنها ترجع إلى الرب، وهذا هو المفهوم من كلام الطبري،[١] وهو ما رجحه ابن عطية[٢]، والعكبري[٣]، وأبو حيان[٤].

الثاني: أنها تعود إلى الثواب، ذكره السمين[٥].

الثالث: أنها تعود إلى اللقاء المفهوم من قوله: (ملاقو)، ذكر هذا ابن عطية،[٦] وأبو حيان[٧].

الرابع: أنها تعود إلى الموت، المفهوم من قوله: (يميتكم)، ذكر هذا أبو حيان[٨].

والراجح أنها عائدة إلى الرب، لأمور:

الأول: أن هذا هو ظاهر السياق .

الثاني: أنه أقرب مذكور ملفوظ به .

الثالث: أنه صرح في آيات أخر بذلك كقوله تعالى: ﴿ثم إلى ربكم

(١) انظر تفسيره: ٢/٢٣

(٢) انظر تفسيره: ١/١٣٨

(٣) انظر التبيان: ١/٦٠

(٤) انظر تفسيره: ١/٣٠٢

(٥) انظر الدر المصون: ١/٣٣٤

(٦) انظر تفسيره: ١/١٣٨

(٧) انظر تفسيره: ١/٣٠٢

(٨) انظر تفسيره: ١/٣٠٢

ترجعون﴾[١].

١٦– قوله تعالى: ﴿واتقوا يوماً لاتجزي نفس عن نفس شيئاً ولايقبل منها شفاعة ولايؤخذ منها عدل ولاهم ينصرون﴾ [البقرة: ٤٨] وكذا [آية ١٢٣]

اختلف أهل التفسير في مرجع الضمير في قوله (منها) على ثلاثة أقوال:

الأول: أنه يعود على النفس الثانية، أي: المجزي عنها؛ لأنها أقرب مذكور. ورجحه الزمشخري[٢].

الثاني: أنه يعود على النفس الأولى لأنها هي المحدث عنها، ورجحه أبو حيان وقال: وقد يظهر ترجيح عوده على النفس الأولى لأنها هي المحدث عنها، والنفس الثانية هي مذكورة على سبيل الفضلة لا العمدة[٣]، وكذلك رجحه النسفي[٤].

الثالث: الضمير الأول يعود على الأولى، والثاني يعود على الثانية. قال السمين: وهذا مناسب[٥].

والذي يظهر لي – والله أعلم – أن عود الضمير على النفس الثانية هو الصحيح أما قول أبي حيان –رحمه الله–: «إن الحديث عن الأولى، وإنها هي العمدة في الكلام أما الثانية ففضلة»، فالصواب عكسه وأن الحديث عن النفس الثانية وهي العمدة في الكلام وبيان ذلك أن الله –تبارك وتعالى– بين أن هذه النفس الثانية لايخلصها من عذاب الله –تبارك وتعالى– شيء، فلا تجزي عنها

(١) السجدة: ١١

(٢) انظر الكشاف: ٦٧/١، والبحر: ٣٠٨/١، والدر المصون: ٣٣٨/١ .

(٣) انظر البحر: ٣٠٨/١

(٤) انظر تفسيره: ٤٧/١

(٥) انظر الدر المصون: ٣٣٨/١

نفس أخرى ولايقبل منها أن تأتي بمن يشفع لها، ولايؤخذ منها فداء، فالحديث كله عنها.وبعد هذا القول في القوة القول الثالث، وأضعفها الثاني–والله أعلم–.

وكذلك اختلفوا في عود الضمير من ﴿ولاهم ينصرون﴾ على قولين:

الأول: أنه يعود على النفس، لأن المراد بها جنس الأنفس. وإنما عاد الضمير مذكراً وإن كانت النفس مؤنثة؛ لأن المراد العباد، والأناسي، ذكره السمين[1]،والزمخشري[2]،وأبو حيان[3].

الثاني: أنه يعود على الكفار الذين اقتضتهم الآية، قاله ابن عطية[4]،وهذا هو الأقرب؛ لأنه لايحتاج إلى تقدير، ولا إلى توجيه .. والله أعلم .

١٧– قوله تعالى: ﴿ثم اتخذتم العجل من بعده﴾ [البقرة: ٥١]

اختلف المفسرون في مرجع الضمير من (بعده) على أربعة أقوال:

الأول: أنه راجع إلى موسى – عليه السلام–،رجح هذا ابن جرير[5]، وابن عطية[6]، وأبو حيان[7] . والسمين[8].

الثاني: أنه راجع إلى الذهاب أو المضى أو الانطلاق المفهوم من الآية، رجح

(١) انظر الدر المصون: ١/٣٣٩

(٢) انظر الكشاف: ١/٦٧

(٣) انظر البحر: ١/٣١٠

(٤) انظر المحرر الوجيز: ١/٢٦٣

(٥) انظر تفسيره: ٢/٦٣

(٦) انظر تفسيره: ١/١٤٣

(٧) انظر تفسيره: ١/٣٢٤

(٨) انظر الدر المصون: ١/٣٥٥

هذا الزمخشري[١]، والعكبري[٢].

الثالث: أنه يعود إلى الهدى، أي: من بعد الهدى، ذكره أبو حيان[٣].

الرابع: أنه يعود إلى الإنجاء، ذكره أبو حيان[٤] –أيضاً.

والراجح أن الضمير يعود إلى موسى ؛ لأن ذلك ظاهر الآية. يؤيده قوله تعالى: ﴿واتخذ قوم موسى من بعده﴾[٥]. وقوله: ﴿بئسما خلفتموني من بعدي﴾[٦].

١٨–قوله تعالى: ﴿فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين﴾ [البقرة: ٦٦]

اختلف المفسرون في عود الضمير في قوله: (جعلناها) و (يديها) و (خلفها) على أقوالٍ، حاصلها يرجع إلى خمسة:

الأول: أنه يعود على المسخة (العقوبة). وهذا أحد قولي ابن عباس – رضي الله عنهما[٧]– وقال به الفراء [٨][٩]، وهذا ما رجحه البغوي[١٠]،

(١) انظر تفسيره: ٦٨/١

(٢) انظر التبيان: ٦٣/١

(٣) انظر تفسيره: ٣٢٤/١

(٤) انظر تفسيره: ٣٢٤/١

(٥) الأعراف: ١٤٩

(٦) الأعراف: ١٥٠

(٧) انظر ابن جرير: ١٧٥/٢-١٧٦

(٨) أبو زكريا، يحيى بن زياد، الفراء، مولى لبني أسد، إمام أهل الكوفة في النحو والأدب مات سنة ٢٠٧هـ انظر نزهة الألباء: ٨١ والسير: ١١٨/١٠. وطبقات المفسرين: ٣٦٧/٢.

(٩) انظر زاد المسير: ٩٥/١

(١٠) انظر تفسيره: ١٠٥/١

والسمعاني[١]، والزمخشري[٢]، والنسفي[٣]، وأبو حيان[٤]، والشوكاني[٥].

الثاني: أنه يعود على الحيتان، وهو القول الثاني لابن عباس–رضي الله عنهما[٦].

الثالث: أنه يرجع إلى القرية. والمرادأهلها قاله قتادة،[٧] وابن قتيبة[٨][٩]، ورجحه ابن كثير[١٠]

الرابع: يعود إلى الأمة التي مسخت.قاله الكسائي[١١][١٢] والزجاج[١٣].

(١) انظر تفسيره: ١/٩٠

(٢) انظر تفسيره: ١/٧٣

(٣) انظر تفسيره: ١/٥٣

(٤) انظر تفسيره: ١/٣٩٨

(٥) انظر تفسيره: ١/١٥٩

(٦) انظر ابن حرير: ٢/١٧٦

(٧) انظر زاد المسير: ١/٩٥

(٨) عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري مات سنة ٢٧٦هـ.

انظر نزهة الألبـــاء ص ١٥٩، وسير أعـــلام النبـــلاء: ١٣/٢٩٦. وطبقات المفسرين: ١/٢٥١.

(٩) انظر غريب القرآن: ص٥٢ .

(١٠) انظر تفسيره: ١/١١١

(١١) أبو الحسن، علي بن حمزة الكسائي الأسدي، مولاهم، الكوفي، المقرئ، النحوي، أحد السبعة مات ١٨٩هـ وقيل: غير ذلك.

انظر معرفة القراء الكبار: ١/١٢٠.وغاية النهاية١/٥٣٥

(١٢) انظر زاد المسير: ١/٩٥

(١٣) انظر معاني القرآن: ١/١٤٩

الخامس: أنه راجع إلى القردة[١] .

والراجح والله أعلم القول الأول لأمرين:

الأول: أنه مذهب أكثر المفسرين .

الثاني: أن الاتعاظ إنما يكون بالعذاب، وهو هنا المسخ، وليس القرية أو أهل القرية، أو الأمة التي مسخت محل للاتعاظ، إلا بالنظر إلى ما حل بهم، ونزل، وهو العذاب .

١٩– قوله تعالى: ﴿وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾ [البقرة: ٧٤]

اختلفوا في الهاء في (منها) إلى ماذا يرجع ؟ على قولين:

الأول: أنه يرجع إلى الحجارة؛ لأنها أقرب مذكور. وهذا قول عامة المفسرين، بل كثير منهم. لم يذكر سواه،[٢] وهو قول السلف كابن عباس ومجاهد وقتادة –رحمهم الله[٣] .

الثاني: أنه يرجع إلى القلوب. قال أبو حيان: وهذا تأويل بعيدجداً .أهـ[٤] وقال السمين: وفيه بعد لتنافر الضمائر[٥] .أهـ. وقال الشوكاني: وذكر

(١) انظر ابن جرير: ١٧٦/٢

(٢) انظر ابن جرير: ٢٣٩/٢. وابن كثير: ١١٧/١، والبغوي: ١١١/١. والسمعاني: ٩٦/١، والكشاف: ٧٧/١. وابن عطية: ١٦٧/١، والنسفي: ٥٧/١، والبيضاوي: ٨٨/١ والشوكاني: ١٦٤/١، والسمين: ٤٣٩/١، والبحر: ٤٢٩/١، والقرطبي: ٤٦٥/١. والنكت والعيون: ١٤٦/١ .

(٣) انظر ابن جرير: ٢٤٠/٢–٢٤١ . والدر المنثور: ١٥٦/١ .

(٤) البحر: ٤٢٩/١ .

(٥) الدر المصون: ٤٣٩/١ .

الجاحظ[1] أن الضمير في قوله: (وإن منها) راجع إلى القلوب لا إلى الحجارة وهو فاسد، فإن الغرض من سياق هذا الكلام هو التصريح بأن قلوب هؤلاء بلغت في القسوة، وفرط اليبس، الموجبين لعدم قبول الحق، والتأثر للمواعظ، إلى مكان لم تبلغ إليه الحجارة، التي هي أشد الأجسام صلابة، وأعظمها صلادة. أه[2].

والراجح والله أعلم القول الأول؛ لأربعة أمور :

الأول: أنه قول السلف، كما سبق .

الثاني: أن التفصيل إنما هو واقع على الحجارة ولو رددنا الضمير إلى القلوب لاختل النظم.

الثالث: أن هذا قول متكلف يخالف ظاهر الآية إذ يوجب التفريق بين الضمائر بلا دليل، كما يوجب رد الضمير إلى غير القريب بدون قرينة.

الرابع: أنه ترجيح عامة المفسرين، بل إن كثيراً منهم لم يذكر غيره.

٢٠– قوله تعالى: ﴿ليحاجوكم به﴾ [البقرة: ٧٦]

الضمير من (به) عائد إلى (ما) وهذا هو الظاهر. وذكر السمين الحلبي احتمالاً ضعيفاً أن الضمير يعود إلى أحد المصدرين المفهومين من (أتحدثونهم) و(فتح)[3] . أي: بالتحديث أو الفتح.

---

(١) أبو عثمان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الجاحظ، المعتزلي من كبار الأدباء مات: ٢٢٥هـ، انظر نزهة الألباء: ١٤٨ وطبقات المفسرين: ٢/١٦ .

(٢) فتح القدير: ١/١٦٤

(٣) انظر الدرر المصون: ١/٤٤٤

٢١–قوله تعالى: ﴿وهو محرم عليكم إخراجهم﴾[البقرة: ٨٥]

اختلف المفسرون في الضمير (هو) على تسعة أقوال:

الأول: أنه ضمير الشأن والقصة، فيكون في محل رفع مبتدأ، وخبره جملة (محرم عليكم إخراجهم)[١].

الثاني: أنه ضمير الشأن إلا أن خبره محرم، وليس الجملة وإخراجهم نائب فاعل. [٢]

الثالث: أنه كناية عن الإخراج، وهو مبتدأ، ومحرم خبره، وإخراجهم بدل من الضمير (المبتدأ)، وهذا على جواز إبدال الظاهر من المضمر[٣].

الرابع: أنه ضمير الإخراج المدلول عليه بقوله (وتخرجون) ومحرم خبره، وإخراجهم بدل من الضمير المستتر في (محرم) وهذا أحد الوجهين اللذين أجازهما ابن جرير –رحمه الله– [٤].

الخامس: أنه ضمير الإخراج المدلول عليه بقوله (وتخرجون)، ومحرم خبره وإخراجهم بدل من الضمير (هو) [٥].

قال السمين: وفي هذا نظر وذلك أنك إذا جعلت (هو) ضمير الإخراج المدلول عليه بالفعل كان الضمير مفسراً به نحو:﴿اعدلوا هو أقرب﴾[٦] فإذا أبدلت

(١) انظر الكشاف: ١/٧٩، والنسفي: ١/٦٠، والبحر: ١/٤٧٠، والدر المصون: ١/٤٨٤.

(٢) انظر البحر: ١/٤٧٠ . والدر المصون: ١/٤٨٤ .

(٣) انظر البحر: ١/٤٧٠، والدر المصون: ١/٤٨٥ .

(٤) انظر ابن جرير: ٢/٣١٢ . وانظر الدر المصون: ١/٤٨٥، والعكبري: ١/٨٧.

(٥) انظر العكبري: ١/٨٧

(٦) المائدة: ٨

منه (إخراجهم) الملفوظ به كان مفسراً به أيضاً، فيلزم تفسيره بشيئين. إلا أن يقال: هذان الشيئان في الحقيقة شيء واحد فيحتمل ذلك[1]. أهـ . قلت: وهو كذلك فهما شيء واحد هو الإخراج .

السادس: أجاز الكوفيون أن يكون (هو) عماداً وهو ما يسميه البصريون ضمير الفعل قدم الخبر فتقدم الضمير معه والأصل: (وإخراجهم هو محرم عليكم)، فإخراجهم مبتدأ، ومحرم خبره، وهو عماد، وهذا الوجه الثاني الذي أجازه الطبري[2] . وهذا ممنوع عند البصريين لأمرين.

الأول: أن الفصل عندهم من شرطه أن يقع بين معرفتين، أو معرفة ونكرة قريبة من المعرفة في امتناع دخول أل، كأفضل من .

والثاني: أن الفصل عندهم لايجوز تقديمه مع ما اتصل به[3] .

السابع: أنه ضمير الأمر، والتقدير: والأمر محرم عليكم . ويكون إخراجهم في هذا القول بدلاً من (هو)[4] .

قال أبو حيان: وهذا خطأ من وجهين .

أحدهما: أنه أخبر عن ضمير الأمر بمفرد ولايجيز ذلك بصري ولا كوفي. أما البصري؛ فلأن مفسر ضمير الأمر لابد أن يكون جملة، وأما الكوفي؛ فلأنه يجيز الجملة، ويجيز المفرد، إذا كان قد انتظم منه ومما بعده مسند ومسند إليه في المعنى، نحو قولك: ظننته قائماً الزيدان.

(١) الدر المصون: ٤٨٦/١

(٢) انظر ابن جرير: ٣١٢/٢

(٣) انظر الدر المصون: ٤٨٦/١

(٤) انظر ابن عطية: ١٧٥/١

والثاني: أنه جعل إخراجهم بدلاً من ضمير الأمر وضمير الأمر لايعطف عليه ولايبدل منه، ولايؤكد[١].

الثامن: قال ابن عطية: وقيل (هو) فاصلة، وهذا مذهب الكوفيين، وليست هنا بالتي هي عماد. و (محرم) على هذا ابتداء و (إخراجهم) خبره[٢].

قال أبو حيان: والمنقول عن الكوفيين عكس هذا الإعراب، وهو أن يكون الفصل قد قدم مع الخبر على المبتدأ، فإعراب (محرم) عندهم خبر مقدم، و(إخراجهم) مبتدأ وهو المناسب للقواعد[٣].

التاسع: أنه الضمير المقدر في محرم. قدم وأظهر. نقله ابن عطية[٤].قال أبوحيان: وهذا القول ضعيف جداً إذ لاموجب لتقدم الضمير ولالبروزه بعد استتاره[٥].

وقال السمين: ولاشك أن هذا قول ردئ منكر، لاينبغي أن يجوز مثله في الكلام، فكيف في القرآن [٦]. أهـ.

٢٢– قوله تعالى: ﴿وماهوبمزحزحهمن العذاب أن يعمر﴾ [البقرة: ٩٦]

في الضمير (هو) خمسة أقوال:

الأول: أنه كناية عن التعمير، ويكون (أن يعمر) بدلاً منه، مفسراً له،

(١) انظر البحر: ١/٤٧٠ .

(٢) انظر تفسيره: ١/٤٧٥ .

(٣) البحر: ١/٤٧١ .

(٤) انظر تفسيره: ١/١٧٥ .

(٥) البحر: ١/٤٧١ .

(٦) الدر المصون: ١/٤٨٨ .

أجازه الزمخشري[١]، والنسفي[٢]، وذكره أبو حيان[٣]،والسمين[٤].

الثاني: أنه راجع إلى المصدر المفهوم من (يعمر) السابق، فيكون مفسراً بالفعل السابق. أجازه الزجاج[٥]، وذكره الزمخشري[٦]، وهو أحد الوجهين عند العكبري[٧] .

الثالث: أنه عائد على أحد، وفيه وجهان من الإعراب:

١– أن يكون اسم ما الحجازية وخبرها (بمزحزحه).

٢– أن يكون مبتدأ و(بمزحزحه) خبره، و(ما) نافية[٨]. وهذا ما رجحه الزجاج[٩]، والزمخشري[١٠]، وهو الوجه الثاني عند العكبري[١١]، ورجحه النسفي[١٢]، وأبو حيان[١٣].

الرابع: أنه ضمير الشأن، وهذا على مذهب أهل الكوفة، فإنهم يفسرون

(١) انظر الكشاف: ١/٨٣ .

(٢) انظر تفسيره: ١/٦٤ .

(٣) انظر البحر: ١/٥٠٥ .

(٤) انظر الدر المصون: ٢/١٥ .

(٥) انظر معاني القرآن: ١/١٧٨ .

(٦) انظر الكشاف: ١/٨٣ .

(٧) انظر التبيان: ١/٩٦ .

(٨) انظر الدر المصون: ٢/١٥ .

(٩) انظر معاني القرآن: ١/١٧٨ .

(١٠) انظر الكشاف: ١/٨٣ .

(١١) انظر التبيان: ١/٩٦ .

(١٢) انظر تفسيره: ١/٦٤ .

(١٣) انظر البحر: ١/٥٠٥ .

ضمير الشأن بغير جملة، إذا انتظم من ذلك إسناد معنوي، نحو ظننته قائماً الزيدان؛ لأنه في قوة ظننته يقوم الزيدان. بخلاف البصريين الذين يشترطون أن يكون تفسيره جملة مصرحاً بجزئيها، سالمة من حرف جر[١].

قال القرطبي: وفيه بعد، فإن المحفوظ عن النحاة أن يفسر بجملة سالمة من حرف جر [٢] .أهـ.

قلت: هذا يستقيم على مذهب أهل البصرة .

الخامس: أنه عماد، وهذا على مذهب بعض الكوفيين الذين يجيزون تقديم العماد مع الخبر المقدم، يقولون في (زيد هو القائم) (هوالقائم زيد)، وهذا ما رجحه الطبري[٣] –رحمه الله–

قال القرطبي: وفيه بعد، فإن حق العماد أن يكون بين شيئين متلازمين[٤]. أهـ.

قلت: هذا على مذهب البصريين الذين يمنعون تقديم الضمير مع الخبر.

٢٣– قوله تعالى: ﴿فإنه نزله على قلبك﴾ [البقرة: ٩٧]

اختلفوا في عود الضميرين في قوله –عزوجل– (فإنه نزله)على قولين:

الأول: أن الضمير في (فإنه) عائد إلى جبريل. والضمير في قوله (نزله) عائد إلى القرآن. وهذا قول ابن عباس –رضي الله عنهما–، وقتادة، وأبي العالية،

(١) انظر الدر المصون: ٢/١٥ .

(٢) انظر القرطبي: ١/٣٥ .

(٣) انظر تفسيره: ٢/٣٧٤ .

(٤) انظر القرطبي: ١/٣٥ .

والربيع والحسن[1].

وقد رجحه ابن جرير[2]، والبغوي[3]، وأبو حيان[4]، والزمخشري[5]، والنسفي[6]، والبيضاوي[7]، والشوكاني[8].

الثاني: أن الضمير الأول عائد إلى الله – تبارك وتعالى– والثاني عائد إلى جبريل. أي: فإن الله نزل جبريل على قلبك، وقد رجحه ابن عطية[9]–رحمه الله.

والراجح القول الأول؛ لأربعة أمور:

أحدهما: أنه قول السلف المتقدمين كما سبق .

ثانيهما: أن عليه عامة المفسرين إلا من ندر .

ثالثها: أنه المناسب لآخر الآية ﴿مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين﴾ وهذه كلها من صفات القرآن. ولقوله (بإذن الله) فإظهار لفظ الجلالة هنا دليل واضح على المعنى الأول، لأن النظم يختل على المعنى الثاني فيكون: فإن الله نزله على قلبك بإذن الله، ولايخفى ما في ذلك من الركاكة –والله أعلم .

الرابع: أن هذه الآية لها نظير يفسرها وهو قوله تعالى: ﴿نزل به الروح الأمين

(١) انظر تفسير ابن أبي حاتم: ٢٨٩/١ . وابن جرير: ٣٨٦/٢-٣٨٧ .

(٢) انظر تفسيره: ٣٨٦/٢ .

(٣) انظر تفسيره: ١٢٥/١ .

(٤) انظر تفسيره: ٥١٢/١ .

(٥) انظر تفسيره: ٨٤/١ .

(٦) انظر تفسيره: ٦٤/١ .

(٧) انظر تفسيره: ٩٦/١ .

(٨) انظر تفسيره: ١٨٠/١١ .

(٩) انظر تفسيره: ١٨٣/١ .

على قلبك لتكون من المنذرين﴾[١] .

٢٤– قوله تعالى: ﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ [البقرة: ٩٧]

ذكر أبوحيان[٢]،والسمين الحلبي[٣] احتمالين في الضمير المستكن في (مصدقاً):

الأول: أنه يعود إلى القرآن، وهذا هو الظاهر.

الثاني: أنه يعود إلى جبريل –عليه السلام– .

كما اختلف المفسرون في مرجع الضمير من (يديه) على قولين:

الأول: أنه عائد إلى القرآن وهذا قول ابن عباس–رضي الله عنهما–، وقتادة، والربيع[٤]، وهو ما رجحه الزجاج[٥]، وابن جرير[٦]، وابن عطية[٧] .

الثاني: أنه يعود إلى جبريل– عليه السلام –، جوزه أبو حيان[٨]، والسمين[٩].

والراجح الأول؛ لأمرين:

(١) الشعراء: ١٩٣، ١٩٤ .

(٢) انظر البحر: ١/٥١٤ .

(٣) انظر الدر المصون: ٢/٢٢ .

(٤) انظر ابن جرير: ٢/٣٩٢ .

(٥) انظر معاني القرآن: ١/١٨٠ .

(٦) انظر ابن جرير: ٢/٣٩٢.

(٧) انظر المحرر الوجيز: ١/١٨٤ .

(٨) انظر البحر: ١/٥١٤ .

(٩) انظر الدر المصون: ٢/٢٢.

أ– أن هذا ظاهر الآية، وقد جاءت آيات تؤيد هذا المعنى كما في قوله تعالى: ﴿ولما جاءهم كتاب مصدق لما معهم﴾[1] وقوله: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه﴾[2] .

ب– أن هذا قول ابن عباس –رضي الله عنهما– وأئمة التفسير المتقدمين.

٢٥– قوله تعالى: ﴿وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾ [البقرة: ١٠٢]

للعلماء في عود الضمير في قوله تعالى: (وما يعلمان) قولان:

الأول: أنه عائد على الملكين، فيكون عائداً على المبدل منه، وهذا مذهب ابن عباس–رضي الله عنهما –، وقتادة، والسدي، والحسن، وابن جريج – رحمهم الله–[3]، وقد رجحه الزجاج[4]، وابن جرير[5]، وابن عطية[6]، والزمخشري[7]، وابن كثير[8]، والسمين[9]. بل إن كثيراً منهم لم يذكر غيره، وهذا يدل على إهماله للقول الثاني.

(١) البقرة: ٨٩.

(٢) المائدة: ٤٨ .

(٣) انظر تفسير ابن أبي حاتم: ١/٣٠٩–٣١٠، وتفسير ابن جرير: ٢/٤٤٢–٤٤٣.

(٤) انظر معاني القرآن: ١/١٨٣.

(٥) انظر تفسيره: ٢/٤٤٢ .

(٦) انظر تفسيره: ١/١٨٨ .

(٧) انظر الكشاف: ١/٨٥ .

(٨) انظر ابن كثير: ١/١٤٧–١٤٨.

(٩) انظر الدر المصون: ٢/٣٤ .

الثاني: أنه عائد على هاروت وماروت، فيكون عائداً على البدل، ذكره أبو حيان[١]،والسمين الحلبي[٢].

والذي يظهر لي أن القول الثاني عائد إلى الأول؛ لأننا سواءً قلنا الضمير عائد على المبدل منه، أو على البدل فالمحصلة واحدة –والله أعلم.

٢٦– قوله تعالى: ﴿فيتعلمون منهما﴾ [البقرة: ١٠٢]

في ضمير (منهما) ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه عائد على الملكين، وهذا قول ابن جرير[٣] واختيار أبي حيان[٤]، والسمين[٥].

ثانيها: أنه عائد على السحر، وعلى الذي أنزل على الملكين[٦].

ثالثها: أنه عائد على الفتنة والكفر، الذي يفهم من قوله تعالى ﴿فلا تكفر﴾[٧].

والذي يظهر لي أن أرجح الأقوال هو القول الأول، لأنه ظاهر الآية، ولأن الأقوال الأخرى تحتاج إلى تقدير وفيها تكلف، كما أنه ترجيح غالب من ذكر الخلاف، والله تعالى أعلم .

---

(١) انظر البحر: ١/٥٢٩ .

(٢) انظر الدر المصون: ٢/٣٤ .

(٣) انظر تفسيره: ٢/٤٤٥ .

(٤) انظر البحر: ١/٥٣٢ .

(٥) انظر الدر المصون: ٢/٤٠ .

(٦) انظر المحرر الوجيز: ١/١٨٨، والبحر: ١/٥٣٢، والدر المصون: ١/٤٠ .

(٧) انظر المراجع السابقة.

٢٧– قوله تعالى: ﴿وما هم بضارين به من أحدٍ إلا بإذن الله﴾ [البقرة: ١٠٢]

اختلف المفسرون في عود الضمير (هم) على ثلاثة أقوال:

الأول: أنه عائد إلى السحرة وهذا ما رجحه ابن جرير[١] وأبو حيان[٢].

والثاني: أنه يرجع إلى اليهود، العائد عليهم ضمير (واتبعوا)، ذكره أبو حيان[٣]، والسمين[٤].

الثالث: أنه عائد إلى الشياطين، ذكر هذا أبو حيان[٥] ، والسمين[٦].

والظاهر الأول ؛ لأنه المفهوم من ظاهر الآية .

٢٨–قوله تعالى: ﴿ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق﴾ [البقرة: ١٠٢]

اختلف المفسرون في عود ضمير (علموا) على ثلاثة اقوال:

الأول: أنه يعود على اليهود، ثم اختلف قائلو هذا القول

أ– فمنهم من قال: على اليهود الذين في عهد سليمان – عليه السلام– وهذا ما رجحه أبوحيان[٧].

ب– ومنهم من قال: على اليهود عامة[٨].

(١) انظر تفسيره: ٢/٤٤٩ .

(٢) انظر تفسيره: ١/٥٣٢ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) انظر الدر المصون: ٢/٤١ .

(٥) انظر البحر: ١/٥٣٢ .

(٦) انظر الدر المصون: ٢/٤١ .

(٧) انظر البحر: ١/٥٣٤ .

(٨) انظر البحر: ١/٥٣٤،والدر المصون: ٢/٤٥ . .

ج– ومنهم من قال: على علمائهم[١] .

د– ومنهم من قال: على اليهود الذين بحضرة النبي ﷺ، وهذا قول قتادة، والسدي، ومجاهد، وابن زيد، والربيع –رحمهم الله تعالى[٢]–، وهو اختيار ابن جرير [٣]–رحمه الله–، والزمخشري[٤]، وابن كثير[٥]، كما رجح أنها في اليهود ولم يفصل ولكن يفهم من قولهم أنهم يريدون الذين في عهد النبي ﷺ كل من البغوي،[٦] وابن عطية،[٧] والبيضاوي،[٨] والنسفي[٩].

الثاني: أنه يعود إلى الشياطين[١٠] .

الثالث: أنه يعود على الملكين، وهذا على القول بأن أقل الجمع اثنان[١١].

والذي يظهر والله أعلم أن الضمير عائد على اليهود الذين بحضرة النبيﷺ؛ وذلك أنه قول أئمة التفسير متقدمهم ومتأخرهم . ولولا ذلك لكان لقول من قال: إنه عائد على علماء اليهود وجه قويٌّ جداً .

(١) انظر المراجع السابقة .

(٢) انظر تفسير ابن أبي حاتم: ١/٣١٣-٣١٤، وابن جرير: ٢/٤٥٠-٤٥١ .

(٣) انظر تفسيره: ٢/٤٥٠-٤٥١.

(٤) انظر الكشاف: ١/٨٦ .

(٥) انظر تفسيره: ١/١٤٧ .

(٦) انظر تفسيره: ١/١٣٢ .

(٧) انظر تفسيره: ١/١٨٨ .

(٨) انظر تفسيره: ١/٩٨.

(٩) انظر تفسيره: ١/٦٦ .

(١٠) انظر المحرر الوجيز: ١/١٨٨، والبحر: ١/٥٣٢، والدر المصون: ٢/٤٥ .

(١١) انظر المراجع السابقة .

٢٩– قوله تعالى: ﴿لمن اشتراه﴾ [البقرة: ١٠٢]

اختلفوا في عود الضمير المنصوب من (اشتراه) على أربعة أقوال:

الأول: أنه راجع إلى السحر، وهذا قول مجاهد والسدي،وابن زيد[١]، وهو الذي رجحه ابن جرير[٢].

الثاني: أنه عائد إلى الكفر، جوزه أبوحيان[٣]، والسمين[٤].

الثالث: أنه عائد الىكتابهم، جوزه أبو حيان[٥]، والسمين[٦] . وعلى هذا القول يكون اشترى بمعنى باع.

الرابع: أنه عائد إلى القرآن، جوزه أبو حيان[٧]، والسمين[٨]، وعليه يكون معنى اشترى باع كالقول الأول .

والراجح القول الأول لأمرين:

١– أنه قول متقدمي المفسرين كما سبق .

٢– أنه ظاهر الآية، لأن الحديث عن السحر .

---

(١) انظر أقوالهم في تفسير الطبري: ٢/٤٥١ .

(٢) انظر المرجع السابق: ٢/٤٥١ .

(٣) انظر تفسيره: ١/٥٣٥ .

(٤) انظر الدر المصون: ٢/٤٧ .

(٥) انظر تفسيره: ١/٥٣٥ .

(٦) انظر الدر المصون: ٢/٤٧ .

(٧) انظر تفسيره: ١/٥٣٥ .

(٨) انظر الدر المصون: ٢/٤٧ .

٣٠– قوله تعالى: ﴿ولو أنهم آمنوا﴾ [البقرة: ١٠٣]

في الضمير من (أنهم) قولان:

الأول: أنه يعود على الذين اشتروا السحر، وهذا ما رجحه ابن جرير[١]، وابن عطية[٢].

الثاني: أنه عائد إلى اليهود، وهذا ما رجحه ابن الجوزي[٣]، وجوزه أبوحيان[٤]، والسمين[٥].

والذي يظهر لي أن الأول أوجه حيث أن الحديث عن السحر .

٣١– قوله تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الله ولداً﴾ [البقرة: ١١٦]

اختلفوا في عود الضمير في قوله: (وقالوا) على خمسة أقوال:

الأول: أنه يعود على اليهود . نسبه ابن الجوزي إلى ابن عباس –رضي الله عنهما–[٦].

الثاني: أنه يعود على النصارى، قاله ابن جرير[٧]، والسمعاني[٨] .

---

(١) انظر تفسيره: ٢/٤٥٧ .

(٢) انظر تفسيره: ١/١٨٩ .

(٣) انظر تفسيره: ١/١٢٦ .

(٤) انظر تفسيره: ١/٥٣٦ .

(٥) انظر الدر المصون: ٢/٤٩ .

(٦) انظر زاد المسير: ١/١٣٥ .

(٧) انظر تفسيره: ٢/٥٣٧ .

(٨) انظر تفسيره: ١/١٣٠ .

الثالث: أنه يعود على النصارى، والمشركين، قاله الزجاج[1].

الرابع: أنه يعود على اليهود، والنصارى، قاله النسفي[2].

الخامس: أنه يعود على اليهود، والنصارى، والمشركين. قاله البغوي[3]، والزمخشري[4]، وابن كثير[5]، والبيضاوي[6].

والراجح والله أعلم هو القول الخامس لما يأتي:

الأول: أن كل هذه الطوائف الثلاث قد قالت ذلك. فقد قالت اليهود: ﴿عزير ابن الله﴾[7]. وقالت النصارى: ﴿المسيح ابن الله﴾[8]، وقال تعالى عن المشركين: ﴿ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون﴾[9].

الثاني: أن هذه التفاسير لاتنافي بينها؛ حيث ذكر كل واحد فرداً مما تدل عليه الآية ويدخل تحتها، وذكر أصحاب القول الخامس جميع ما يدخل تحت الآية.

الثالث: أن حمل الآية على جميع ما يمكن أن تدل عليه أولى، مالم يمنع من ذلك مانع.

---

(١) انظر معاني القرآن: ١/١٩٨ .

(٢) انظر تفسيره: ١/٧١ .

(٣) انظر تفسيره: ١/١٤١ .

(٤) انظر تفسيره: ١/٩٠ .

(٥) انظر تفسيره: ١/١٦٥ .

(٦) انظر تفسيره: ١/١٠٢ .

(٧) التوبة: ٣٠ .

(٨) التوبة: ٣٠ .

(٩) النحل: ٥٧ .

٣٢- قوله تعالى: ﴿أولئك يؤمنون به﴾ وقوله ﴿ومن يكفر به﴾ [البقرة: ١٢١]

اختلف المفسرون في مـــرجع الضمير من (به) في الموضعين على أربعة أقوال:

الأول: أنه عائد إلى الكتاب، وهذا ما رجحه ابن جرير[١]، والزمخشري[٢]، وأبوحيان[٣]، والسمين[٤].

الثاني: أنه راجع إلى النبي ﷺ، وهذا ما رجحه الزجاج[٥].

الثالث: أنه يعود إلى الله –سبحانه–، ذكر هذا أبو حيان[٦]، والسمين[٧].

الرابع: أنه يعود إلى الهدى، جوزه ابن عطية[٨].

والذي يظهر لي أنه جائز عوده إلى الكتاب، وإلى النبيﷺ وكلاهما معنى صحيح يمكن أن يفهم من سياق الآيات، كما أن بينهما تلازماً غير خاف.

٣٣- قوله تعالى: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم﴾ [البقرة: ١٢٨]

اختلف أهل التفسير في عود الضمير من قوله: (فيهم) على ثلاثة أقوال:

---

(١) انظر تفسيره: ٢/٥٧١ .

(٢) انظر تفسيره: ١/٩١ .

(٣) انظر تفسيره: ١/٥٩٢ .

(٤) انظر الدر المصون: ٢/٩٥ .

(٥) انظر معاني القرآن: ١/٢٠٣ .

(٦) انظر تفسيره: ١/٥٩٢ .

(٧) انظر الدر المصون: ٢/٩٥ .

(٨) انظر تفسيره: ١/٢٠٥ .

الأول: أنه راجع إلى الأمة المسلمة، وهذا ما رجحه البغوي[1]، والزمخشري[2]، والنسفي[3]، والبيضاوي[4]، والشوكاني[5].

الثاني: أنه عائد على الذرية، قاله مقاتل[6]، والفراء[7].

الثالث: أنه عائد على أهل مكة (أمة محمد –ﷺ–) وهذا ما رجحه ابن جرير[8]، والسمعاني[9]، والقرطبي[10]، وابن كثير[11].

والذي يترجح عندي أن هذه الأقوال متفقة غير مختلفة؛ لأن الأمة المسلمة من الذرية، وأهل مكة من ذريته –عليه السلام–، فمن آمن من أهل مكة هم بعض الأمة المسلمة المذكورة في الآية، وهذه الأمة –أعني المذكورة في الآية– من ذريته. فأصبحت هذه المفردات الثلاث بمنْزلة شيء واحد، لايضر على أيها رددت الضمير. إلا أنه من حيث اللفظ لم يرد ذكر لأهل مكة فإرجاع الضمير

(١) انظر تفسيره: ١/١٥١ .

(٢) انظر تفسيره: ١/٩٤ .

(٣) انظر تفسيره: ١/٧٥ .

(٤) انظر تفسيره: ١/١٠٦ .

(٥) انظر تفسيره: ١/٢٠٩ .

(٦) أبو بسطام، مقاتل بن حيان بن روال دور، محدث ثقة مات: ١٥٠هـ تقريباً انظر سير أعلام النبلاء: ٦/٣٤٠ وطبقات المفسرين: ٢/٣٢٩ .

(٧) انظر زاد المسير: ١/١٤٦ .

(٨) انظر تفسيره: ٣/٨٢ .

(٩) انظر تفسيره: ١/١٤٠ .

(١٠) انظر تفسيره: ١/١٣١ .

(١١) انظر تفسيره: ١/١٨٩ .

إلى المذكور في الآية أحسن، والله أعلم .

٣٤– قوله تعالى: ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه﴾ [البقرة: ١٣٢]

في الها في قوله تعالى: (بها) ستة أقوال .

الأول: أنها ترجع إلى الملة، رجحه الزجاج[١]، والعكبري[٢]، وأبوحيان[٣]، والشوكاني[٤]؛ لأنها أقرب مذكور مصرح به[٥].

الثاني: أنها تعود إلى الكلمة التي هي قولـــه: ﴿ أسلمت لرب العالمين ﴾[٦]. ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾[٧] يعني قوله: ﴿إنني براء مما تعبدون﴾[٨]. ورجحـــه الطـــبري[٩]، والقـــرطبي[١٠]، والـــزمخشري[١١]، وابن عطية[١٢].

الثالث: أنها تعود على كلمة الإخلاص، وإن لم يجرِ لها ذكر، فهي مشار

(١) انظر معاني القرآن: ٢١١/١ .

(٢) انظر التبيان: ١١٨/١ .

(٣) انظر تفسيره: ٦٣٦/١ .

(٤) انظر تفسيره: ٢١٠/١ .

(٥) انظر المرجع السابق .

(٦) البقرة: ١٣١ .

(٧) الزخرف: ٢٦ .

(٨) الزخرف: ٢٨ .

(٩) انظر تفسيره: ٩٣/٣ .

(١٠) انظر تفسيره: ١٣٥/٢ .

(١١) انظر تفسيره: ٩٥/١ .

(١٢) انظر تفسيره: ٢٢٣/١ .

إليها من حيث المعنى؛ إذ هي أعظم عمد الإسلام[1].

الرابع: أنها مردودة إلى الوصية المدلول عليها بـــ (وصى)[2].

الخامس: أنها راجعة إلى الطاعة[3].

السادس: أنها تعود على الكلمة المتأخرة[4]، وهي قوله: ﴿فلاتموتن إلا وأنتم مسلمون﴾[5].

والذي يظهر لي أن رد الضمير إلى الملة أولى ؛ لثلاثة أمور:

الأول: أنها أقـــرب مذكور مصرح به، ورد الضمير إلى المذكور القريب هو الجاري على قـــواعد اللغة العربية مالم يمنع من ذلك مانع، ولامانع والحمد لله.

الثاني: أنها أجمع فكل الأقوال الباقية تدخل فيها.

الثالث: أن الأقوال الأخرى لاتسلم من التقدير والتأويل، ومالايحتاج إلى هذا أولى.

٣٥ – قوله تعالى: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ... ﴾ [البقرة: ١٣٦]

للمفسرين في عود الضمير في (قولوا) قولان:

الأول: أنه يعود إلى المؤمنين، فهم المخاطبون بذلك. وهذا ما رجحه الطبري[6]،

(١) انظر ابن عطية: ٢١٣/١، والبحر: ٦٣٦، والدر المصون: ١٢٤/٢-١٢٥.

(٢) انظر المراجع السابقة .

(٣) انظر المراجع السابقة .

(٤) انظر المراجع السابقة .

(٥) البقرة: ١٣٢ .

(٦) انظر تفسيره: ١٠٩/٣ .

والقرطبي[١]، والبيضاوي[٢]، وابن كثير[٣]، والشوكاني[٤]، وأبوحيان[٥]، ويفهم ترجيحه من كلام الزمخشري[٦].

الثاني: أنه يعود على الكافرين، أي: قولوا ذلك لتكونوا على الحق[٧].

والراجح القول الأول؛ لأمرين:

الأول: أنه ترجيح عامة أهل التحقيق من المفسرين.

الثاني: أن قوله تعالى: ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا﴾[٨] يدل على أن الخطاب للمؤمنين، وهذا ظاهر والمنة لله.

٣٦- قوله تعالى: ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به﴾ [البقرة: ١٣٧]

اختلف المفسرون في عود ضمير (به) على ثلاثة أقوال:

الأول: أنه عائد إلى (ما)، وهذا ما رجحه ابن جرير[٩].

الثاني: أنه يعود على الله، وهذا ما ذهب إليه ابن عطية[١٠]، والبيضاوي[١١]،

(١) انظر تفسيره: ٢/١٤٠ .

(٢) انظر تفسيره: ١/١٠٨ .

(٣) انظر تفسيره: ١/١٩٢ .

(٤) انظر تفسيره: ١/٢١٢ .

(٥) انظر تفسيره: ١/٦٤٨ .

(٦) انظر تفسيره: ١/٩٧ .

(٧) انظر الكشاف: ١/٩٧. والنسفي: ١/٧٧. والدر المصون: ٢/١٣٨

(٨) البقرة: ١٣٧ .

(٩) انظر تفسيره: ٣/١١٣ .

(١٠) انظر تفسيره: ١/٢١٥ .

(١١) انظر تفسيره: ١/١٠٩ .

والنسفي[1].

الثالث: أنه يعود على النبي ﷺ، ذكره العكبري[2].

والذي يظهر لي أن عود الضمير على (ما) أولى من غيره؛ لأنه يشمل جميع ماذكر، أما إذا رددناه على لفظ الجلالة، أو على الرسول –ﷺ–فقد قصرناه على بعض ما ذكر –والله أعلم.

٣٧– قوله تعالى: ﴿وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله﴾ [البقرة: ١٤٣]

في الضمير المستتر في (كانت) ثلاثة أقوال للمفسرين:

الأول: أنه يعود على التحويلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام. وهذا مذهب ابن عباس– رضي الله عنهما–[3] ومجاهد[4]، وقتادة[5]، ورجحه ابن جرير[6]، وابن كثير[7]، ويفهم ترجيحه من كلام الزمخشري[8].

الثاني: أنه راجع إلى القبلة نفسها، وهذا قول أبي العالية[9]، والزجاج[10].

---

(١) انظر تفسيره: ١/٧٧ .

(٢) انظر التبيان: ١/١٢١ .

(٣) انظر الطبري: ٣/١٦٤، والدر المنثور: ١/٢٦٨.

(٤) انظر الطبري: ٣/١٦٤، والدر المنثور: ١/٢٦٨ .

(٥) انظر الطبري: ٣/١٦٤ .

(٦) انظر تفسيره: ٣/١٦٥ .

(٧) انظر تفسيره: ١/١٩٦ .

(٨) انظر تفسيره: ١/١٠٠ .

(٩) انظر الطبري: ١/١٦٤ .

(١٠) انظر معاني القرآن: ١/٢٢٠ .

الثالث: أنه عائد على الصلاة، وهذا قول عبدالرحمن بن زيد[١].

والظاهر القول الأول؛ لأمرين:

الأول: أن الذي كبر في نفوس القوم هو التحويل، لا القبلة، ولا الصلاة، فالكلام إنما هو عن تحويل القبلة، وإليها يعود الضمير –والله أعلم–[٢].

الثاني: أن هذا قول جمهور السلف كما سبق .

٣٨–قوله تعالى: ﴿وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم﴾ [البقرة: ١٤٤]

اختلف العلماء في عود الضمير من (أنه) على ثلاثة أقوال:

الأول: أنـــه يعود إلى التولي، والاستقبال، وهذا ما رجحه ابن جرير[٣]، وابن عطية[٤]، وأبوحيان[٥].

الثاني: أنه راجع إلى الشطر، نسبه أبو حيان إلى الكسائي[٦].

الثالث: أنه يعود إلى النبي ﷺ،نسبه أبو حيان إلى مجاهد، وقتادة[٧].

والذي يظهر إلى أن كل هذه الأقوال صحيحة، وإن كان الحديث عن التوجه والتولي –والله أعلم.

(١) انظر الطبري، والدر المنثور: ٢٦٨/١ .

(٢) انظر ابن جرير: ١٦٥/٣ .

(٣) انظر تفسيره: ١٨٣/٣ .

(٤) انظر تفسيره: ٢٢٢/١ .

(٥) انظر تفسيره: ٢٥/٢ .

(٦) انظر المرجع السابق .

(٧) انظر المرجع السابق .

٣٩– قوله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ [البقرة: ١٤٦]

للعلماء في الضمير المنصوب من (يعرفونه) خمسة أقوال:

الأول: أنه عائد إلى النبيﷺ، قاله قتادة[١]، ونسبه أبو حيان إلى مجاهد[٢] ورجحه البغوي[٣] والزمخشري[٤]، والبيضاوي[٥]، وأبوحيان[٦]، قالوا: وأضمر وإن لم يسبق له ذكر لدلالة الكلام عليه وعدم اللبس، ومثل هذا الإضمار فيه تفخيم له كأنه لشهرته وكونه علماً معلوماً مستغنى عن ذكره بلفظه[٧]. وجعل أبو حيان ذلك من باب الالتفات من الخطاب في قوله: (فولِ وجهك) إلى الغيبة[٨].

الثاني: أنه يعود على الحق وهو التحول، رجحه الشوكاني[٩].

الثالث: أنه يعود على القرآن، وهذا ما ذكره ابن كثير، وفسر الضمير به[١٠].

---

(١) انظر الدر المنثور: ١/٢٧٠ .

(٢) انظر البحر: ٢/٣٢ .

(٣) انظر تفسيره: ١/١٦٤ .

(٤) انظر تفسيره: ١/١٠٢ .

(٥) انظر تفسيره: ١/١١٢ .

(٦) انظر تفسيره: ٢/٣٢ .

(٧) انظر الكشاف: ١/١٠٢ .

(٨) انظر تفسيره: ١/٣٢ .

(٩) انظر تفسيره: ١/٢٢٠ .

(١٠) انظر تفسيره: ١/٢٠٠ .

الرابع: أنه يعود على العلم [١].

الخامس: أنه راجع إلى البيت الحرام، وهذا قول ابن عباس –رضي الله عنهما–[٢]، والربيع[٣]، والسدي[٤]، وابن زيد[٥]، وابن جريج[٦]، ورجحه ابن جرير[٧]–رحمه الله– وابن عطية[٨].

والظاهر –والله أعلم– أن الضمير عائد على الرسولﷺ:

أولاً: لأن الذي اشتهر أن اليهود كتمته هو صفة الرسولﷺ، وجلُّ الآيات توبخهم على ذلك.

الثاني: أن قوله: ﴿كما يعرفون أبناءهم﴾ يقوي هذا الفهم، فإن قولك: يعرفون محمداًﷺ كما يعرفون أبناءهم، أقرب من قولك: يعرفون القبلة كما يعرفون أبناءهم فإن القبلة ليست من جنس الأبناء .

٤٠ –قوله تعالى: ﴿ولكل وجهة هو موليها﴾[البقرة: ١٤٨]

اختلف المفسرون في عود الضمير (هو) على قولين:

الأول: أنه يعود على لفظ كل، أي: هو مستقبلها ومتوجه إليها. قاله

(١) انظر الدر المصون: ٢/١٦٩ .

(٢) انظر الطبري: ٣/١٨٨ .

(٣) انظر المرجع السابق .

(٤) انظر المرجع السابق .

(٥) انظر المرجع السابق .

(٦) انظر المرجع السابق .

(٧) انظر المرجع السابق: ٣/١٨٧ .

(٨) انظر تفسيره: ١/٢٢٣ .

مجاهد[١]، ونسبه القرطبي إلى ابـــن عباس وعطـــاء، والربيع[٢]، ورجحه ابن جرير[٣] والنسفي[٤]، وأبو حيان[٥]،

وقدمه القرطبي[٦]، والزمخشري[٧]، والبغوي[٨]، وابن عطية[٩]، والشوكاني[١٠]، والسمعاني[١١].

الثاني: أنه يرجع إلى (الله)–سبحانه–، جوزه الزجاج[١٢] والبيضاوي[١٣]، ومال إليه الماوردي[١٤][١٥] . وقدمه ابن الجوزي[١٦].

(١) انظر ابن جرير: ١٩٤/٣، والدر المنثور: ٢٧٢/١ .

(٢) انظر تفسيره: ١٦٤/٢ .

(٣) انظر تفسيره: ١٩٤/٣ .

(٤) انظر تفسيره: ١٨٢/١ .

(٥) انظر تفسيره: ٣٦/٢ .

(٦) انظر تفسيره: ١٦٤/٢ .

(٧) انظر تفسيره: ١٠٢/١ .

(٨) انظر تفسيره: ١٦٤/١ .

(٩) انظر تفسيره: ٢٢٤/١ .

(١٠) انظر تفسيره: ٢٢١/١ .

(١١) انظر تفسيره: ١٥٣/١ .

(١٢) انظرمعاني القرآن: ٢٢٥/١ .

(١٣) انظر تفسيره: ١١٣/١ .

(١٤) هو أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب الشافعي البصري، فقيه مفسر، مات سنة: ٤٥٠هـ، انظر طبقات الشافعية الكبرى: ٢٦٧/٥ وطبقات المفسرين: ٤٢٧/١ .

(١٥) انظر النكت والعيون: ٢٠٦/١ .

(١٦) انظر تفسيره: ١٥٩/١ .

والراجح –والله أعلم– القول الأول ؛ لأمرين:

أولهما: أنه ظاهر الآية .

وثانيهما: أنه قول أئمة المفسرين .

٤١– قوله تعالى: ﴿خالدين فيها﴾ [البقرة: ١٦٢]

اختلفوا في الهاء على قولين:

الأول: أنها راجعة إلى اللعنة، وهذا ما رجحه ابن جرير[١]، والبغوي[٢]، والسمعاني[٣]، وابن عطية[٤]، والقرطبي[٥]، والزمخشري[٦]، وابن كثير[٧]، وأبو حيان[٨].

الثاني: أنها تعود على النار، وإن لم يجرِ لها ذكر، لأن الخلود إنما يكون فيها، وأضمرت تهويلاً وتفخيماً لشأنه أو اكتفاء بدلالة اللعن عليها، وهذا ما رجحه الشوكاني[٩]، وجوزه البيضاوي[١٠]، والنسفي[١١].

(١) انظر تفسيره: ٢٦٤/٣ .

(٢) انظر تفسيره: ١٧٦/١ .

(٣) انظر تفسيره: ١٦١/١ .

(٤) انظر تفسيره: ٢٣٢/١ .

(٥) انظر تفسيره: ١٩٠/١ .

(٦) انظر تفسيره: ١٠٥/١ .

(٧) انظر تفسيره: ٢٠٦/١ .

(٨) انظر تفسيره: ٧٣/٢ .

(٩) انظر تفسيره: ٢٢٨/١ .

(١٠) انظر تفسيره: ١١٦/١ .

(١١) انظر تفسيره: ٨٦/١ .

والظاهر –والله أعلم– أنها عائدة إلى اللعنة؛ لأنها أقرب مذكور مصرح به، وأجري الكلام على اللعنة والمراد ما صار إليه من الخلود في النار وهذا ما رواه ابن جرير عن أبي العالية –رحمه الله–[1]، وإن كان الوجه الثاني له قوة، وحظ كبير من النظر .

٤٢ – قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم﴾ [البقرة: ١٧٠]

اختلف المفسرون في عود الضمير من (لهم) على أربعة أقوال :

الأول: أنه يعود على الناس من قوله: ﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً﴾[2]، وهذا ما رجحه ابن جرير[3]، والزمخشري[4]، والبيضاوي[5]، والنسفي[6]، والشوكاني[7]. وعدل بالخطاب عنهم للنداء على ضلالهم، كأنه التفت إلى العقلاء. وقال لهم: انظروا إلى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون[8].

الثاني: أنه يعود على (من) في قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً﴾[9] قال أبو حيان: وهذا بعيد[10].

---

(١) انظر تفسيره: ٣/٢٦٤ .

(٢) البقرة: ١٦٨ .

(٣) انظر تفسيره: ٣/٣٠٥ .

(٤) انظر تفسيره: ١/١٠٧ .

(٥) انظر تفسيره: ١/١١٨ .

(٦) انظر تفسيره: ١/٨٨ .

(٧) انظر تفسيره: ١/٢٣٤ .

(٨) البيضاوي: ١/١١٩ .

(٩) البقرة: ١٦٥ .

(١٠) انظر البحر: ٢/١٠٢ .

الثالث: أنه يعود على كفار العرب؛ لأن هذا حالهم. وهذا ما رجحه القرطبي[١]، وابن عطية[٢]، والماوردي[٣]، وابن كثير[٤]، وأبوحيان[٥].

الرابع: أنه راجع إلى اليهود؛ لأنهم أشد الناس اتباعاً لأسلافهم. فيكون الضيمر كناية عن غير مذكور، وقدمه البغوي[٦].

والظاهر –والله أعلم– أن الضمير يعود على كفار العرب؛ لأمرين:

الأول: أن هذا وصفهم، وغالباً ما يذكرون في القرآن بذلك، ويوبخون به.

الثاني: أن هذا هو المفهوم من السياق، فبعد أن ذكر بعض أوصافهم لفت المخاطب إلى النظر في جوابهم عندما يدعون إلى الهدى.

٤٣– قوله تعالى: ﴿ويشترون به﴾ [البقرة: ١٧٤]

للعلماء في الضمير من (به) ثلاثة أقوال:

الأول: أنه راجع إلى الكتمان. وهذا ما رجحه ابن جرير[٧].

الثاني: أنه عائد إلى الكتاب. وهذا ما رجحه ابن عطية[٨].

الثالث: أنه مـــردودالى (مـــا) في قوله: (مـــا أنزل الله) . وهذا ما رجحه

---

(١) انظر تفسيره: ٢/٢١٠ .

(٢) انظر تفسيره: ١/٢٣٨ .

(٣) انظر تفسيره: ١/٢٢١ .

(٤) انظر تفسيره: ١/٢١٠ .

(٥) انظر تفسيره: ٢/١٠٢ .

(٦) انظر معالم التنْزيل: ١/١٨١ وزاد المسير: ١/١٧٣، والدر المصون: ٢/٢٢٦ .

(٧) انظر تفسيره: ٣/٣٢٨ .

(٨) انظر تفسيره: ١/٢٤١ .

أبوحيان[1]، والسمين[2].

والذي يظهر لي أن القولين الأخرين متقاربان لأن ما أنزل الله بعض الكتاب وجزء منه، وهذان القولان أقرب، أما الكتمان فأرى أنه بعيد حيث أن الاستبدال لم يقع عليه، وإنما وقع على ما أنزل الله.

٤٤– قوله تعالى: ﴿وآتى المال على حبه﴾ [البقرة: ١٧٧]

اختلفوا في عود الضميرمن (حبه) على أربعة أقوال:

الأول: أنه يعود على المال، وهذا ما رجحه البغوي[3]، والسمعاني[4]، والزمخشري[5]، وابن عطية[6]، والماوردي[7]، والبيضاوي[8]، وأبوحيان[9]، والشوكاني[10]، والسمين الحلبي[11].

الثاني: أنه يعود إلى الله، جوزه النسفي[12].

(١) انظر تفسيره: ٢/١٢٠ .

(٢) انظر تفسيره: ٢/٢٤١ .

(٣) انظر تفسيره: ١/١٨٦ .

(٤) انظر تفسيره: ١/١٧٢ .

(٥) انظر تفسيره: ١/١٠٩ .

(٦) انظر تفسيره: ١/٢٤٣ .

(٧) انظر تفسيره: ١/٢٢٥ .

(٨) انظر تفسيره: ١/٢٢١ .

(٩) انظر تفسيره: ٢/١٣٥ .

(١٠) انظر تفسيره: ١/٢٣٩ .

(١١) انظر تفسيره: ٢/٢٤٨ .

(١٢) انظر تفسيره: ١/٩٠ .

الثالث: أنه يعود على الإيتاء، جوزه النسفي[١]. وقال السمين: وهذا بعيد من حيث المعنى. أما من حيث اللفظ فإن عود الضمير على غير مذكور بل مدلول عليه بشيء خلاف الأصل. وأما من حيث المعنىفإن المدح لايحسن على فعل شيء يحبه الإنسان لأن هواه يساعده على ذلك. أه[٢].

وعلى هذه الأقوال الثلاثة يكون المصدر مضافاً إلى المفعول. أما فاعل المصدر فهو ضمير المؤتى. وقيل: ضمير المؤتين. أي: حبهم له واحتياجهم إليه[٣].

الرابع: أنه راجع على (من آمن) وهو المؤتى للمال، فيكون المصدر على هذا مضافاً للفاعل، والمفعول محذوف، تقديره: على حبه المال. وهذا ما رجحه الطبري، ورواه عن ابن مسعود –رضي الله عنه–[٤]. وهذا هو المفهوم من كلام ابن كثير –رحمه الله[٥].

وأظهر الأقوال الأربعة أولها؛ لأمرين:

الأول: أنه أقرب مذكور .

الثاني: أنه قول غالبية المفسرين .

وليس قول ابن جرير ببعيد عن القول الأول من حيث المعنى فالمفعول به على القولين واحد، وهوالمال،والفرق بينهما إنما هو من حيث المضاف إليه فأصحاب القول الأول أضافوا المصدر إلى المفعول به (المال)، وأصحاب القول

(١) انظر تفسيره: ١/٩٠ .

(٢) انظر الدر المصون: ٢/٢٤٨-٢٤٩ .

(٣) انظر الدر المصون: ٢/٢٤٨، والبحر: ٢/١٣٥ .

(٤) انظر ابن جرير: ٣/٣٤٠-٣٤١ .

(٥) انظر ابن كثير: ١/٢١٣ .

الرابع أضافوه إلى الفاعل وحذفوا المفعول به (المال)، والحب على كلا القولين واقع على المال. والله أعلم.

٤٥ – قوله تعالى: ﴿فمن بدله بعدما سمعه فإنما أثمه على الذين يبدلونه﴾ [البقرة: ١٨١]

اختلفوا في عود (الهاء) من قوله (بدله) على أربعة أقوال:

الأول: أنه يعود على الوصية؛ لأنها بمعنى الإيصاء، وهذا قول ابن عباس – رضي الله عنهما– ومجاهد، وقتادة، والسدي، وعطاء، والحسن[١]، ورجحه ابن جرير[٢]، والبغوي[٣]، والسمعاني[٤]، والماوردي[٥]، وابن كثير[٦]، وأبوحيان[٧]، وكذلك ابن عطية[٨]، والزمخشري[٩]، والقرطبي[١٠]، والنسفي[١١]، والشوكاني[١٢]. إلا أن هؤلاء قالوا: راجع إلى الإيصاء، وهو قول لايخالف الوصية.

(١) انظرها في الطبري: ٣/٣٩٧، والدر المنثور: ١/٣٢٠-٣٢١ .

(٢) انظر تفسيره: ٣/٣٩٧ .

(٣) انظر تفسيره: ١/١٩٤ .

(٤) انظر تفسيره: ١/١٧٦ .

(٥) انظر تفسيره: ١/٢٣٣ .

(٦) انظر تفسيره: ١/٢١٨ .

(٧) انظر تفسيره: ٢/١٦٥ .

(٨) انظر تفسيره: ١/٢٤٩ .

(٩) انظر تفسيره: ١/١١٢ .

(١٠) انظر تفسيره: ٢/٢٦٨ .

(١١) انظر تفسيره: ١/٩٣ .

(١٢) انظر تفسيره: ١/٢٤٦ .

الثاني: أنه يعود على الكتب، أو الحكم المأمور به.

الثالث: أنه يعود على الحق .

الرابع: أنه يعود على المعروف.

ذكر هذه الأقوال الثلاثة العكبري[١]، والسمين الحلبي[٢].

والراجح القول الأول لأمور:

الأول: أنه المفهوم من سياق الآية.

الثاني: أنه قول أئمة التفسير، المتقدمين والمتأخرين .

الثالث: أن التبديل إنما يرد علىالوصية لا على الكتب ولا على الحق ولا على المعروف[٣].

وفي الضمير من (سمعه) قولان:

الأول: أنه يعود إلى ماعاد إليه الضمير من (بدله)، رجحه ابن جرير[٤]، والبغوي[٥]، وابن عطية[٦]، والنسفي[٧]، والشوكاني[٨].

الثاني: أنه يعود على الذي سمعه من أوامر الله[٩].

---

(١) انظر التبيان: ١٤٧/١ .

(٢) انظر الدر المصون: ٢٦٣/٢ .

(٣) انظر الطبري: ٣٩٧/٣ .

(٤) انظر المرجع السابق .

(٥) انظر تفسيره: ١٩٤/١ .

(٦) انظر تفسيره: ٢٤٩/١ .

(٧) انظر تفسيره: ٩٣/١ .

(٨) انظر تفسيره: ٢٤٦/١ .

(٩) انظر التبيان: ١٤٧/١، والمحرر الوجيز: ٢٤٩/١، والدر المصون: ٢٦٣/٢.

والراجح القول الأول، لأنه المفهوم من السياق .

وفي الضمير من (إثمه) احتمالان:

الأول: وهو الراجح أن يعود على التبديل المفهوم من بدله، رجحه الطبري[1] والقرطبي[2]، والنسفي[3]، وابن عطية[4].

الثاني: أن يعود على الإيصاء المبدل، رجحه البيضاوي[5]، والزمخشري[6].

٤٦– قوله تعالى: ﴿فأصلح بينهم﴾ [البقرة: ١٨٢]

اختلف المفسرون في عود الضمير من (بينهم) على أربعة أقوال:

الأول: أنه عائد إلى الموصي، وورثته، قاله مجاهد[7].

الثاني: أنه يعود على الموصى لهم، والورثة، وهذا قول ابن عباس –رضي الله عنهما– وقتادة، والربيع[8].

الثالث: أنه يرجع إلى الورثة، وهذا قول عطاء[9]، ورجحه القرطبي[10]،

---

(١) انظر تفسيره: ٣٩٧/٣ .

(٢) انظر تفسيره: ٢٦٨/١ .

(٣) انظر تفسيره: ٩٣/١ .

(٤) انظر تفسيره: ٢٤٩/١ .

(٥) انظر تفسيره: ١٢٣/١ .

(٦) انظر تفسيره: ١١٢/١ .

(٧) انظر ابن جرير: ٣٩٩/٣–٤٠٠، والنكت والعيون: ٢٣٣/١ .

(٨) انظر ابن جرير: ٤٠٠/٣–٤٠١ .

(٩) انظر تفسير ابن جرير: ٤٠٢/٣ .

(١٠) انظر تفسيره: ٢٧١/٢ .

والشوكاني[١].

الرابع: أنه يعود على الموصى لهم، من الأقرباء، والآباء. قاله السدي، وابن زيد[٢]، ورجحه الزجاج[٣]، والزمخشري[٤]، وابن الجوزي[٥]، والنسفي[٦]، واليضاوي[٧]، وأبوحيان[٨]، والسمين[٩]، قالوا: لأن لفظ الوصية يدل عليه[١٠].

والذي يظهر أن الضمير يصلح أن يكون للميت، وورثته، والموصى لهم، ولايَرِدُ عليه أنه مادام الموصي حياً فلا اختلاف، والإصلاح إنما يكون بين المختلفين، لأنه لما كان مخوفاً حصول الجنف، والميل في الوصية كان بمثابة الواقع. وأقوال السلف السابقة ليس بينها اختلاف؛ لأن كل واحد منهم ذكر فرداً من أفراد العام، وهذا المعنى الذي رجحته هومذهب ابن جرير[١١]، وابن عطية[١٢] –رحمهما الله.

---

(١) انظر تفسيره: ٢٤٦/١ .

(٢) انظر تفسير ابن جرير: ٤٠٣/٣ .

(٣) انظر معاني القرآن: ٢٥١/١ .

(٤) انظر تفسيره: ١١٢/١ .

(٥) انظر تفسيره: ١٨٣/١ .

(٦) انظر تفسيره: ٩٣/١ .

(٧) انظر تفسيره: ١٢٣/١ .

(٨) انظر تفسيره: ١٦٩/١ .

(٩) انظر الدر المصون: ٢٦٦/٢ .

(١٠) انظر الدر المصون: ٢٦٦/٢ .

(١١) انظر تفسيره: ٤٠٣/٣-٤٠٥.

(١٢) انظر تفسيره: ٢٤٩/١ .

٤٧– قوله تعالى: ﴿وعلى الذين يطيقونه﴾ [البقرة: ١٨٤]

ذكر السمين الحلبي في عود الضمير من قوله: (يطيقونه) قولين:

الأول: وهو المشهور والظاهر أنه يعود على الصيام .

الثاني: أنه يعود إلى الفداء، ونسبه للفراء[١] .

٤٨– قوله تعالى: ﴿وإن كنتم من قبله﴾ [البقرة: ١٩٨]

في الضمير من (قبله) ثلاثة أقوال للمفسرين:

الأول: أنه يعود على الهدى المفهوم من قوله تعالى: (كما هداكم) وهذا ما رجحه عامة المفسرين، ومنهم الزجاج[٢]، والطبري[٣]، والقرطبي[٤]، والبغوي[٥]، والزمخشري[٦]، وابن عطية[٧]، والبيضاوي[٨]، والنسفي[٩]، وأبوحيان[١٠]، والسمين[١١]، والشوكاني [١٢].

---

(١) انظر الدرر المصون: ٢/٢٧٤، ومعاني القرآن: ١/١١٢ .

(٢) انظر معاني القرآن: ١/٢٧٣ .

(٣) انظر تفسيره: ٤/١٨٤ .

(٤) انظر تفسيره: ٢/٤٢٧ .

(٥) انظر تفسيره: ١/٢٣٠ .

(٦) انظر تفسيره: ١/١٢٤ .

(٧) انظر تفسيره: ١/٢٧٥ .

(٨) انظر تفسيره: ١/١٣١ .

(٩) انظر تفسيره: ١/١٠٢ .

(١٠) انظر تفسيره: ٢/٣٠٠ .

(١١) انظر تفسيره: ٢/٣٣٤ .

(١٢) انظر تفسيره: ١/٢٧٠ .

الثاني: أنه يعود إلى القرآن، ذكره ابن الجوزي[١]، والقرطبي[٢]، وأبو حيان[٣]، والشوكاني[٤]، وابن كثير[٥].

الثالث: أنه يعود إلى الرسولﷺ، ذكره البغوي[٦]، وابن الجوزي[٧]، وأبوحيان[٨]، والقرطبي[٩]، وابن كثير[١٠].

والراجح – والله تعالى أعلم – أن جميع الأقوال متلازمة، ومتقاربة، وصحيحة، وهذا ما رجحه ابن كثير[١١] –رحمه الله–، وإن كان المذكور منها الهدى المفهوم من قوله: (هداكم) ولكن هذا لايمنع أن يشمل الضمير جميع ما ذكر، مادام يصح ذلك –والله أعلم.

٤٩– قوله تعالى: ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾ [البقرة: ١٩٩]

اختلف المفسرون في عود الضمير من قوله: (أفيضوا) على قولين:

الأول: أن المخاطب قريش، ومن ولدت، أو تحمس معها؛ لأنهم كانوا

(١) انظر تفسيره: ١/٢١٣ .

(٢) انظر تفسيره: ٢/٤٢٧ .

(٣) انظر تفسيره: ٢/٣٠٠ .

(٤) انظر تفسيره: ١/٢٧٠ .

(٥) انظر تفسيره: ١/٢٤٩ .

(٦) انظر تفسيره: ١/٢٣٠ .

(٧) انظر تفسيره: ١/٢١٣ .

(٨) انظر تفسيره: ٢/٣٠٠ .

(٩) انظر تفسيره: ١/٤٢٧ .

(١٠) انظر تفسيره: ١/٢٤٩ .

(١١) انظر المرجع السابق .

لايقفــون بعرفات، وبالتــالي لايفيضون من حيث أفاض الناس. وهذا قــول عائشة[1] –رضي الله عنها وعن أبيها – وابن عباس – رضي الله عنهما–، وعطاء، ومجاهد، وقتادة، والسدي، والربيع[2]، ورجحه الزجاج[3]، والطبري[4]، والبغوي[5]، والسمعاني[6]، والقرطبي[7]، والبيضاوي[8].

الثاني: أن المخاطب جميع الأمة، وهذا قول الضحاك[9]، ورجحه أبوحيان[10]، ونسب ترجيحه للطبري، وهو خطأ فإن ابن جرير يرجح الأول كما سبق. وتبع السمين الحلبي أبــا حيان في ذلك، فوقع في الخطأ؛ لأنه اعتمد على نقل أبي حيان[11] –رحمهما الله.

والذي يظهر لي أن القول الأول أرجح؛ لأمرين:

الأول: أن التــكاليف مخاطب بها جميع الأمــة ولا يخــرج منها إلا من

(١) أم المؤمنين رضي الله عنها زوج رسول الله ﷺ بنت أمير المؤمنين أبي بكر الصديق –رضي الله عنه– ماتت سنة ٥٨ هـ، انظر الإصابة، ٤/٣٥٠ .

(٢) انظر ذلك كله في الطبري: ٣/١٨٤-١٨٩ .

(٣) انظر معاني القرآن: ١/٢٧٣ .

(٤) انظر تفسيره: ٣/١٩٠ .

(٥) انظر تفسيره: ١/٢٣٠ .

(٦) انظر تفسيره: ١/٢٠٣ .

(٧) انظر تفسيره: ٢/٤٢٨ .

(٨) انظر تفسيره: ١/١٣١ .

(٩) أبو محمد . وقيل أبو القاسم، الضحاك بن مزاحم البلخي، الخراساني، مفسر مشهور مات سنة ١٠٥هـ. انظر سير أعلام النبلاء: ٤/٥٩٨، وطبقات المفسرين: ١/٢٢٢.

(١٠) انظر تفسيره: ٢/٣٠١ .

(١١) انظر الدر المصون: ٢/٣٣٤ .

أخـــرجه الشارع.

الثاني: أن هذا قول أئمة التفسير من السابقين واللاحقين .

٥٠- قوله تعالى: ﴿ليحكم بين الناس﴾ [البقرة: ٢١٣]

في الضمير المستتر في فعل (يحكم) ثلاثة أقوال:

الأول: أنه عائد إلى الله تعالى ، وهذا ما رجحه أبو حيان[١]، والسمين الحلبي[٢].

الثاني: أنه يرجع إلى الكتاب، وهذا ما رجحه ابن جرير[٣] والشوكاني[٤].

الثالث: أنه يعود على المفرد من النبيين. أي: ليحكم كل نبي، وهذا ما رجحه السمعاني[٥].

والراجح أن كـــل هذه الاحتمالات صحيحة سائغة، فالحكم لله سبحانه وتعالى، والكتاب يتضمن حكمه عزوجل، فيحكم بين الناس من هذه الحيثية، والنبيون هم الذين ينفذون الأحكام، ويقررونها بما أنزل الله عليهم. وهذا ما رجحه الزمخشري[٦]، والنسفي [٧]، والبيضاوي[٨].

---

(١) انظر البحر: ٢/٣٦٥ .

(٢) انظر الدر المصون: ٢/٣٧٥ .

(٣) انظر تفسيره: ٤/٢٨٠ .

(٤) انظر تفسيره: ١/٢٨٢ .

(٥) انظر تفسيره: ١/٢١٤ .

(٦) انظر تفسيره: ١/١٢٩ .

(٧) انظر تفسيره: ١/١٠٦ .

(٨) انظر تفسيره: ١/١٣٥ .

٥١- قوله تعالى: ﴿ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾ [البقرة: ٢١٣]

للعلماء في الضمير من (فيه) ستة أقوال:

الأول: أنه يعود على ما، وهذا ما رجحه ابن عطية[١]، والسمين[٢]، والشوكاني[٣]، وأبوحيان[٤].

الثاني: أنه يعود على الدين الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق، وهذا ما رجه ابن الجوزي[٥]، والنسفي[٦]، والزمخشري[٧].

الثالث: أنه عائد إلى محمد ﷺ .

الرابع: أنه يرجع إلى دين محمد ﷺ.

الخامس: أنه يعود إلى محمد ﷺ ودينه معاً .

السادس: أنه يعود إلى القرآن .

ذكر هذه الأقوال الأربعة الأخيرة أبو حيان[٨] -رحمه الله.

والذي يترجح عندي أن القولين الأولين يرجعان إلى معنى واحد، هو الدين الذي اختلف فيه المختلفون، فبعث الله الرسل لتحكم بين أولئك فيما حصل فيه

(١) انظر تفسيره: ١/٢٨٦ .

(٢) انظر تفسيره: ١/٣٧٦ .

(٣) انظر تفسيره: ١/٢٨٢ .

(٤) انظر تفسيره: ٢/٣٦٦ .

(٥) انظر تفسيره: ١/٢٣٠ .

(٦) انظر تفسيره: ١/١٠٦ .

(٧) انظر تفسيره: ١/١٢٩ .

(٨) انظر تفسيره: ١/٣٦٦ .

الاختلاف من الدين، وهذا هو الظاهر –والله أعلم.

٥٢– قوله تعالى: ﴿وما اختلف فيه﴾ [البقرة: ٢١٣]

في الهاء من (فيه) خمسة أقوال:

الأول: أنه عائد على ما الموصولة من قوله: (فيما) رجحه أبوحيان[١]، والسمين[٢].

الثاني: أنه عائد إلى الكتاب، رجحه البغوي[٣]، وجوزه البيضاوي[٤].

الثالث: أنه يعود إلى النبي ﷺ، رجحه الزجاج[٥].

الرابع: أنه يعود على عيسى عليه السلام. ذكره أبو حيان[٦]، والسمين الحلبي[٧].

الخامس: أنه يعود على الحق. رجحه النسفي[٨]، والزمخشري[٩]، وجوزه البيضاوي[١٠].

---

(١) انظر تفسيره: ٣٦٦/٢ .

(٢) انظر الدر المصون: ٣٧٦/٢ .

(٣) انظر تفسيره: ٢٤٤/١ .

(٤) انظر تفسيره: ١٣٥/١ .

(٥) انظر معاني القرآن: ٢٨٤/١ .

(٦) انظر تفسيره: ٣٦٦/٢ .

(٧) انظر الدر المصون: ٣٧٦/٣ .

(٨) انظر تفسيره: ١٠٦/١ .

(٩) انظر تفسيره: ١٢٩/١ .

(١٠) انظر تفسيره: ١٣٥/١ .

والذي يظهر أنه عائد على ما عاد عليه الضمير الأول، أي: على (ما) – والله أعلم–.

٥٣– قوله تعالى: ﴿إلا الذين أوتوه﴾ [البقرة: ٢١٣]

قال ابن الجوزي: فأما هاء (أوتوه) فعائدة على الكتاب من غير خلاف[١] أهـ . ولكن ذكر أبو حيان والسمين خلافاً في ذلك.

الأول: أنه يعود على (ما)، وهذا ما رجحاه[٢].

الثاني: أنه يعود على الكتاب كما ذكر ابن الجوزي.

الثالث: أنه يعود على النبي، وهذا ما رجحه الزجاج[٣].

الرابع: أنه عائد إلى الحق، ذكره الشوكاني [٤].

والذي يظهر رجحانه هو القول بأنه عائد إلى الكتاب وهو ترجيح غالب المفسرين مثل ابن جرير[٥]، والبغوي[٦]، والسمعاني[٧]، والزمخشري[٨]، والبيضاوي[٩]، والنسفي[١٠].

(١) انظر تفسيره: ١/٢٣٠ .

(٢) انظر البحر: ٢/٣٦٦ . والدر المصون: ٢/٣٧٦ .

(٣) انظر معاني القرآن: ١/٢٨٤ .

(٤) انظر تفسيره: ١/٢٨٢ .

(٥) انظر تفسيره: ٤/٢٨١ .

(٦) انظر تفسيره: ١/٢٤٤ .

(٧) انظر تفسيره: ١/٢١٤ .

(٨) انظر تفسيره: ١/١٢٩ .

(٩) انظر تفسيره: ١/١٣٥ .

(١٠) انظر تفسيره: ١/١٦٠ .

٥٤– قوله تعالى: ﴿وكفر به﴾ [البقرة: ٢١٧]

اختلفوا في عود الضمير من (به) على ثلاثة أقوال:

الأول: أنه عائد إلى الله تعالى، عزاه ابن الجوزي إلى السدي، وقتادة، ومقاتل[١]، ورجحه ابن قتيبة[٢]، وابن جرير[٣]، والبغوي[٤]، والسمعاني[٥]، والقرطبي[٦]، والنسفي[٧]، والبيضاوي[٨]، والشوكاني[٩].

الثاني: أنه يعود على (سبيل) عزاه ابن الجوزي، إلى ابن عباس – رضي الله عنهما[١٠]– ورجحه ابو حيان[١١]، والسمين الحلبي[١٢].

الثالث: أنه يرجع إلى الحج، ذكره القرطبي[١٣]، والشوكاني[١٤].

---

(١) انظر تفسيره: ١/٢٣٨ .

(٢) انظر غريب القرآن: ٨٢ .

(٣) انظر تفسيره: ٤/٣٠٠ .

(٤) انظر تفسيره: ١/٢٤٨ .

(٥) انظر تفسيره: ١/٢١٦ .

(٦) انظر تفسيره: ٣/٤٥ .

(٧) انظر تفسيره: ١/١٠٨ .

(٨) انظر تفسيره: ١/١٣٧ .

(٩) انظر تفسيره: ١/١٨٦ .

(١٠) انظر تفسيره: ١/٢٣٨ .

(١١) انظر تفسيره: ٢/٣٨٥ .

(١٢) انظر الدر المصون: ٢/٣٩٣ .

(١٣) انظر تفسيره: ٣/٤٥ .

(١٤) انظر تفسيره: ١/١٨٦ .

والذي يظهر أنه لامانع من جواز هذه الأقوال الثلاثة، لأن الكفر بواحد منها كفر ببقيتها، فالكفر بالله كفر بجميع شرائعه والكفر بسبيله كفر به، والحج من سبيل الله.

٥٥- قوله تعالى: ﴿وإخراجأهلهمنه﴾ [البقرة: ٢١٧]

للعلماء في الهاء من (منه) قولان:

الأول: أنها عائدة على المسجد الحرام، وهذا ما رجحه الزجاج[١]، وابن قتيبة[٢]، والبغوي[٣]، والسمعاني[٤]، والزمخشري[٥]، والنسفي[٦]، وأبوحيان[٧]، والسمين[٨]، والشوكاني[٩].

الثاني: أنها تعود على (سبيل الله)، أي: الإسلام. ذكر هذا أبوحيان[١٠]، والسمين[١١].

والأول أرجح؛ لأمرين:

(١) انظر معاني القرآن: ١/٢٩٠ .

(٢) انظر غريب القرآن: ٨٢.

(٣) انظر تفسيره: ١/٢٤٨ .

(٤) انظر تفسيره: ١/٢١٦ .

(٥) انظر تفسيره: ١/١٣١ .

(٦) انظر تفسيره: ١/١٠٨ .

(٧) انظر تفسيره: ٢/٣٨٩ .

(٨) انظر الدر المصون: ٢/٣٩٨ .

(٩) انظر تفسيره: ١/٢٨٧ .

(١٠) انظر تفسيره: ٢/٣٨٩ .

(١١) انظر الدر المصون: ٢/٣٩٨ .

الأول: أنه أقرب مذكور.

الثاني: أنهم أخرجوا المسلمين من ديارهم وهي هنا الحرم ولم يخرجوهم من دينهم .

٥٦–قوله تعالى: ﴿ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً﴾[البقرة: ٢٢٩]

للعلماء في الكاف من (لكم) قولان:

الأول: أنها تعود إلى الأزواج، لأنهم هم الآخذون، والمؤتون . وهذا ما رجحه ابن جرير[١]، وابن عطية[٢]، والقرطبي[٣]، وأبوحيان[٤]، والشوكاني[٥].

الثاني: أنها راجعة إلى الحكام، وهذا ما رجحه البيضاوي[٦]، وجوزه الزمخشري[٧]، والنسفي[٨]، لأنهم الآمرون بالأخذ، والإيتاء عند الترافع إليهم، فكأنهم الآخذون، والمؤتون.

والذي يظهر من سياق الآية أن الأول هو الراجح –والله أعلم .

٥٧– قوله تعالى: ﴿فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾ [البقرة: ٢٢٩]

في الضمير من قوله تعالى: (عليهما) وجهان:

(١) انظر تفسيره: ٥٤٩/٤ .

(٢) انظر تفسيره: ٣٠٦/١ .

(٣) انظر تفسيره: ١٣٦/٣ .

(٤) انظر تفسيره: ٤٧٠/٢ .

(٥) انظر تفسيره: ٣٠٩/١ .

(٦) انظر تفسيره: ١٤٢/١ .

(٧) انظر تفسيره: ١٣٩/١ .

(٨) انظر تفسيره: ١١٥/١ .

الأول: أنه عائد إلى الزوج، والزوجة، أي: لاجناح على الزوج فيما أخذ، ولا على الزوجة فيما أعطت. وهذا ما رجه ابن جرير[1]، وابن عطية[2]، والزمخشري[3]، وهو المفهوم من كلام أبي حيان[4]، والسمين[5]، حيث فسرا الآية به، ثم ذكرا الثاني.

الثاني: أنه عائد إلى الزوج فقط، فهو بمعنى (عليه) كقوله: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾[6]، قاله الفراء[7].

والراجح: القول الأول؛ لثلاثة أمور:

١– أنه ظاهر الآية .

٢– أن الأصل أن الضمير هنا عائد إلى مثنى، ولانخرج عن هذا إلا بدليل واضح، ولادليل.

٣– أن هذا قول عامة المفسرين .

٥٨– قوله تعالى: ﴿فلاجناح عليهما أن يتراجعا﴾ [البقرة: ٢٣٠]

في ضمير المثنى من الآية قولان:

الأول: أنه عائد إلى الزوج الأول المطلق ثلاثاً، والزوجة. أي: إذا انقضت

(١) انظر تفسيره: ٤/٥٦٥-٥٦٦ .

(٢) انظر تفسيره: ١/٣٠٧ .

(٣) انظر تفسيره: ١/١٣٩ .

(٤) انظر تفسيره: ٢/٤٧٤ .

(٥) انظر تفسيره: ٢/٤٥٢ .

(٦) الرحمن: ٢٢ .

(٧) انظر معاني القرآن: ١/١٤٧ .

عدتها من الزوج الثاني فلاجناح على الزوج الأول والزوجة أن يعودا إلى النكاح مرةً أخرى، وهذا قول ابن عباس –رضي الله عنهما–[١] والضحاك[٢]. وهو الذي رجحه الزجاج[٣]، وابن جرير[٤]، وابن عطية[٥].

الثاني: أنه يعود إلى الزوج الثاني والزوجة. أي: لاجناح عليه أن يراجعها مادام لم يطلقها البتة.

جوزه أبوحيان[٦]، والسمين[٧].

والراجح هو الأول؛ لأمرين:

الأول: أن الكلام في الآيات عن علاقة الزوج الأول بهذه الزوجة فبعد أن بين سبحانه أنها تبين منه بالثلاث بين له أن له نكاحها بعد أن يطلقها زوج آخر قد دخل بها .

الثاني: أنه قول أئمة التفسير .

٥٩– قوله تعالى: ﴿وإذا طلقتم النساء﴾ [البقرة: ٢٣٢]

للعلماء في ضمير المخاطب بهذه الآية قولان:

الأول: أنه للأزواج؛ لأنهم هم المطلقون حقيقة، ولأن الخطاب معهم من

(١) انظر تفسير ابن جرير: ٤/٥٩٧ – ٥٩٨ .

(٢) انظر تفسير ابن جرير: ٤/٥٩٧ – ٥٩٨ .

(٣) انظر معاني القرآن: ١/٣٠٩ .

(٤) انظر تفسيره: ٤/٥٩٧ .

(٥) انظر تفسيره: ١/٣٠٩ .

(٦) انظر تفسيره: ٢/٤٨٠ .

(٧) انظر تفسيره: ٢/٤٥٤ .

أول الآيات، وهذا ما رجحه أبوحيان[1]، والسمين[2].

الثاني: أنه للأولياء ذكره أبو حيان[3]، والسمين[4]، وجوزه الشوكاني[5]، لأنهم سبب في ذلك.

٦٠- قوله تعالى: ﴿فلا تعضلوهن﴾ [البقرة: ٢٣٢]

اختلفوا في ضمير المخاطب على أربعة أقوال:

الأول: أنه للأولياء، لأنهم هم أصحاب السلطان عليهن ما دمن لم يتزوجن هذا ما رجحه الزجاج[6]، وابن جرير[7]، والبغوي[8]، والقرطبي[9]، وابن الجوزي[10]، والسمين الحلبي[11]، والبيضاوي[12]، وجوزه الزمخشري[13]، والشوكاني[14].

(١) انظر تفسيره: ٢/٤٩٣ .
(٢) انظر الدر المصون: ٢/٤٥٩ .
(٣) انظر تفسيره: ٢/٤٩٣ .
(٤) انظر الدر المصون: ٢/٤٥٩ .
(٥) انظر تفسيره: ١/٣١٥ .
(٦) انظر معان القرآن: ١/٣١٠ .
(٧) انظر تفسيره: ٥/٢٣ .
(٨) انظر تفسيره: ١/٢٧٦ .
(٩) انظر تفسيره: ٣/١٥٨ .
(١٠) انظر تفسيره: ١/٢٦٩ .
(١١) انظر الدر المصون: ٢/٤٥٩ .
(١٢) انظر تفسيره: ١/١٤٣ .
(١٣) انظر تفسيره: ١/١٤٠ .
(١٤) انظر تفسيره: ١/٣١٥ .

الثاني: أنه للأزواج لأن بعضهم كان يفعل ذلك حمية جاهلية، واضراراً بالمرأة . وهذا مارجحه أبوحيان[١]. وجوزه الزمخشري[٢]، والشوكاني[٣].

الثالث: أن المخاطب به الأولياء، والأزواج جميعاً، ذكره البيضاوي[٤].

الرابع: أن المخاطب بهذا المؤمنون كلهم، رجحه ابن عطية[٥]، وذكره البيضاوي –أيضاً[٦].

٦١– قوله تعالى: ﴿ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم﴾ [البقرة: ٢٥٣]

اختلفوا في الضمير من (بعدهم) على ثلاثة أقوال:

الأول: أنه يعود على الرسل، واستدلوا بظاهر الآية، وهذا ما رجحه الزجاج[٧]، وابن جرير[٨]، والبغوي[٩]، والقرطبي[١٠]، والـــزمخشري[١١]، وابن الجوزي[١٢]،

(١) انظر تفسيره: ٤٩٣/٢ .

(٢) انظر تفسيره: ١٤٠/١ .

(٣) انظر تفسيره: ٣١٥/١ .

(٤) انظر تفسيره: ١٤٣/١ .

(٥) انظر تفسيره: ٣١٠/١ .

(٦) انظر تفسيره: ١٤٣/١ .

(٧) انظر معاني القرآن: ٣٣٥/١ .

(٨) انظر تفسيره: ٣٨٠/٥ .

(٩) انظر تفسيره: ٣٠٩/١ .

(١٠) انظر تفسيره: ٣٦٠/٣ .

(١١) انظر تفسيره: ١٥٢/١ .

(١٢) انظر تفسيره: ٣٠١/١ .

والبيضاوي[١]، والنسفي[٢]، والشوكاني[٣]، والسمين[٤].

الثاني: أنه يعود على موسى، وعيسى قاله قتادة[٥] والربيع [٦]–رحمهما الله–؛ لأنهما المذكوران في الآية، وهذا على أن الاثنين جمع.

الثالث: أنه يعود على موسى وعيسى ومحمد ﷺ؛ لأن الأولين مذكوران صراحة، والثاني بالإشارة في قوله (كلم الله)، ذكر هذا الشوكاني[٧].

والراجح –والله أعلم – القول الأول؛ لأنه ظاهر الآية، وقول قتادة لايخالفه؛ لأنه ذكر فردين من أفراد العام على سبيل المثال لاالحصر. أما قول ابن عطية –رحمه الله–: «ظاهر اللفظ في (قوله)[٨]: (من بعدهم) يعطي أنه أراد القوم الذين جاءوا بعد جميع الرسل، وليس كذلك المعنى، بل المراد ما اقتتل الناس بعد كل نبي فلف الكلام لفاً يفهمه السامع. وهذا كما تقول: اشتريت خيلاً ثم بعتها فجائزة لك هذه العبارة، وأنت اشتريت فرساً ثم بعته ثم آخر وبعته ثم آخر وبعته..»[٩] أهـ .

وتبعه على ذلك أبوحيان[١٠]، فلا يخالف ما رجحته من قول جمهور

(١) انظر تفسيره: ١٥٣/١ .

(٢) انظر تفسيره: ١٢٧/١ .

(٣) انظر تفسيره: ٣٤٤/١ .

(٤) انظر الدرر المصون: ٥٣٧/٢ .

(٥) انظر الطبري: ٣٨٠/٥ .

(٦) انظر الطبري: ٣٨١/٥ .

(٧) انظر تفسيره: ٣٤٤/١ .

(٨) في تفسيره: (قولهم) والصواب ما أثبته .

(٩) انظر تفسيره: ٣٣٩/١ .

(١٠) انظر تفسيره: ٦٠٣/٢ .

المفسرين ولكن أراد أن يبين أن الاختلاف يحصل بعد كل نبي، لا أنه لم يحصل إلا بعد الأنبياء جميعاً وهذا حق ولكن لاداعي له لأنه مفهوم من الآية –والله أعلم.

٦٢– قوله تعالى: ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ [البقرة: ٢٥٥]

اختلف المفسرون في عود الضمير من: (أيديهم)، و (خلفهم) على أربعة أقوال:

الأول: أنه يعود على (ما) من قوله تعالى: (له ما في السموات وما في الأرض) أي: على الخلق كلهم، وغلب من يعقل على غيره. قاله أبو حيان[١]، والسمين[٢].

الثاني: أنه يعود على من يعقل منهم، رجحه ابن عطية[٣].

الثالث: أنه عائد على ما دل عليه ﴿من ذا الذي يشفع عنده﴾ من الملائكة والأنبياء. ذكره أبو حيان[٤] والسمين[٥].

الرابع: أنه عائد على الأنبياء خاصة، نسبه ابن الجوزي إلى مقاتل[٦].

والذي يظهر أن الراجح ما اختاره ابن عطية –رحمه الله– لأن ذلك هو المفهوم من سياق الآيات.

---

(١) انظر البحر: ٢/٦١١ .

(٢) انظر الدر المصون: ٢/٥٤٣ .

(٣) انظر المحرر الوجيز: ١/٣٤١ .

(٤) انظر البحر: ٢/٦١١ .

(٥) انظر الدر المصون: ٢/٥٤٣ .

(٦) انظر زاد المسير: ١/٣٠٣ .

٦٣– قوله تعالى: ﴿في ربه﴾ [البقرة: ٢٥٨]

في الهاء من (ربه) احتمالان:

الأول: أنه يعود إلى إبراهيم – عليه السلام– رجحه أبو حيان[١]، والسمين[٢]، وجوزه ابن عطية[٣].

الثاني: أنه يعود إلى (الذي حاج) جوزه ابن عطية[٤]، وذكره أبوحيان[٥]، والسمين[٦].

والراجح أن كلا القولين صحيح فجائز أن يعود على إبراهيم –عليه السلام– وجاز أن يعود على (الذي حاج) ؛ لأن الضمير إذا كان محتملاً للأمرين، ولامانع من رده إلى كل واحدمنهما، فلا يصح قصره بلا دليل، أو قرينة تدل على القصر –والله أعلم.

٦٤– قوله تعالى: ﴿أن آتاه الله الملك﴾ [البقرة: ٢٥٨]

للعلماء في الهاء من (آتاه) قولان:

الأول: أنه راجع إلى (الذي حاج)، قال الزجاج: وهذا هو الذي عليه أهل التفسير وعليه يصح المعنى[٧]. أهـ. ورجحه ابن عطية، وقال: وهذا قول جمهور

---

(١) انظر البحر: ٢/٦٢٥ .

(٢) انظر الدر المصون: ٢/٥٥٠ .

(٣) انظر المحرر الوجيز: ١/٣٤٦ .

(٤) انظر المحرر الوجيز: ١/٣٤٦ .

(٥) انظر البحر: ٢/٦٢٥ .

(٦) انظر الدر المصون: ٢/٥٥٠ .

(٧) انظر معاني القرآن: ١/٣٤٠ .

المفسرين[١] أهـ. كما رجحه أبو حيان[٢]، والسمين[٣].

الثاني: أنه عائد إلى إبراهيم –عليه السلام– . قال ابن عطية: وهذا تحامل من التأويل[٤].

والراجح الأول؛ لأن قوله تعالى: (أن آتاه ..) كالعلة للمحاجة.

٦٥– قوله تعالى: ﴿لايقدرون على شيء مما كسبوا ﴾ [البقرة: ٢٦٤]

اختلف المفسرون في الضمير من قولـــه تعالى: (لايقدرون) على أربعة أقوال:

الأول: أنه عائد على (الذي ينفق)؛ لأن الذي جنس مثل، من فلك أن تراعي لفظه، ولك أن تراعي معناه، وهذا مـــا رجحه ابن جرير[٥]، وابن عطية[٦]، والزمخشري[٧].

الثاني: أنه راجع إلى المخاطبين في قولـــه: ﴿لاتبطلوا صدقاتكم﴾[٨]، ويكون من باب الالتفات من الخطاب إلى الغيبة . ذكره أبو حيان[٩]، والسمين[١٠].

---

(١) انظر تفسيره: ٣٤٦/١ .

(٢) انظر البحر: ٦٢٦/٢ .

(٣) انظر الدر المصون: ٥٥١/٢ .

(٤) انظر تفسيره: ٣٤٦/١ .

(٥) انظر تفسيره: ٥٢٦/٥ .

(٦) انظر المحرر الوجيز: ٣٥٨/١ .

(٧) انظر الكشاف: ١٦١/١ .

(٨) البقرة: ٢٦٤ .

(٩) انظر البحر: ٦٦٤/٢ .

(١٠) انظر الدر المصون: ٥٨٨/٢-٥٨٩ .

الثالث: أنه يعود على ما يفهم من السياق. أي: لايقدر المانون ولا المؤذون على شيء من نفع صدقاتهم. ذكره السمين[1]، وأبو حيان[2].

الرابع: أنه عائد إلى معلوم غير مذكور المعنى؛ أي: لايقدر أحد من الخلق على الانتفاع بذلك البذر الملقى في ذلك التراب الذي على الصفوان . ذكره أبوحيان[3].

٦٦- قوله تعالى: ﴿ويكفر عنكم من سيئاتكم﴾[البقرة: ٢٧١]

في الضمير المستتر في (يكفر) ثلاثة احتمالات:

الأول: أنه عائد إلى الله – سبحانه وتعالى – وهذا ما رجحه ابن جرير[4]، وابن عطية[5]، وأبو حيان[6].

الثاني: أنه يعود إلى صرف الصدقات المدلول عليه بقوله: (وتؤتوها). ذكره أبو حيان[7]، والسمين[8].

الثالث: أنه راجع إلى الإخفاء. ذكره أبوحيان[9]، والسمين[10].

والراجح القول الأول ؛ لأمرين:

---

(١) انظر الدر المصون: ٢/٥٨٩ .

(٢) انظر البحر: ٢/٦٦٤ .

(٣) انظر البحر: ٢/٦٦٥ .

(٤) انظر تفسيره: ٥/٥٨٤ .

(٥) انظر تفسيره: ١/٣٦٦ .

(٦) انظر تفسيره: ٢/٦٩١ .

(٧) انظر تفسيره: ٢/٦٩١ .

(٨) انظر الدر المصون: ٢/٦١١ .

(٩) انظر تفسيره: ٢/٦٩١ .

(١٠) انظر الدر المصون: ٢/٦١١ .

١– أنه ظاهر الآية .

٢– أنه مؤيد بقراءة (نكفر) بالنون[١]. وهي قراءة سبعية.

٦٧– قوله تعالى: ﴿وأمره إلى الله﴾ [البقرة: ٢٧٥]

للمفسرين أربعة أقوال في عود الهاء من (أمره):

الأول: أنها تعود على المنتهي عن الربا، وهذا ما رجحه الزجاج[٢]، وابن جرير[٣]، والبغوي[٤]، والبيضاوي[٥]، وأبوحيان[٦]. والمعنى أن أمره إلى خيرٍ، وقيل: في الجزاء والمحاسبة. وقيل: في العفو، والعقوبة. وقيل أمره إلى الله يوم القيامة لا إلى الذين عاملهم بالربا، فلا يطالبونه بشيء. وقيل: فأجره على الله لقبوله الموعظة[٧].

قلت: أما قولهم: في العفو والعقوبة فليس بشيء؛ لأن من تاب من الذنب كمن لم يذنب.

الثاني: أنها راجعة إلى ماسلف، رجحه السمين[٨]. أي: في العفو عنه

(١) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع: ١/٣١٦-٣١٧، وحجة القراءات ص٤٧، والحجة للقراء السبعة: ٢/٣٩٩-٤٠٠ .

(٢) انظر معاني القرآن: ١/٣٥٨ .

(٣) انظر تفسيره: ٦/١٤ .

(٤) انظر تفسيره: ١/٣٤٣ .

(٥) انظر تفسيره: ١/١٦٢ .

(٦) انظر تفسيره: ٢/٧٠٩ .

(٧) انظر البحر: ٢/٧٠٩، والقرطبي: ٣/٣٦١، وابن عطية: ١/٣٧٢ .

(٨) انظر الدر المصون: ٢/٦٤٣ .

وإسقاط التبعة فيه[1].

قلت: وهذا التعليل عليل لأنه إذا تاب من الربا لم يؤاخذ بما مضى وسلف.

الثالث: أنها مردودة إلى الربا أي: أمر الربا إلى الله في تحريمه، واستمرار ذلك التحريم، وعدمه، والعفو عمن شاء منه[2].

الرابع: أنها راجعة إلى ذي الربا[3].

والراجح –والله أعلم– أنها تعود على المنتهي بدلالة قوله: (فانتهى) وقوله: (عاد) وأن ذلك من باب التأنيس له وبسط أمله في الخير –والله أعلم.

٦٨– قوله تعالى: ﴿فليملل وليه﴾ [البقرة: ٢٨٢]

اختلف أهل التأويل في مرد الضمير من (وليه) على قولين:

الأول: أنه مـــردود إلى صاحب الدين، روى عن ابن عباس– رضي الله عنهما– بسند ضعيف[4]، وبه قـــال الربيع[5]، ورجحه الطبري[6]، وابن قتيبة[7].

الثاني: أنه يعود إلى السفيه، والضعيف، أو من لايستطيع الإمـــلاء، سواءً

(١) انظر البحر: ٧٠٩/٢، والدر المصون: ٦٣٤/٢ .

(٢) انظر ابن عطية: ٣٧٢/١، والبحر: ٧٠٩/٢، والقرطبي: ٣٦١/٣ .

(٣) المراجع السابقة .

(٤) انظر الطبري: ٥٩/٦ .

(٥) انظر الطبري: ٥٩/٦ .

(٦) انظر تفسيره: ٥٩/٦ .

(٧) انظر غريب القرآن: ٩٩ .

كان ذلك وصياً أو ولياً أو نائباً، ورجحه الزجاج[١]، والسمعاني[٢]، والبغوي[٣]، والزمخشري[٤]، والقرطبي[٥]، وابن عطية[٦]، والنسفي[٧]، والبيضاوي[٨]، وأبوحيان[٩]، والسمين[١٠]، والشوكاني[١١]. وهو قول الضحاك[١٢]، وابن زيد[١٣].

والراجح والله أعلم القول الثاني لما يلي:

أولاً: أن القول الأول لم يصح عن ابن عباس –رضي الله عنهما.

ثانياً: ما قاله ابن عطية: وهذا عندي شيء لايصح عن ابن عباس، وكيف تشهد البينة على شيء، وتدخل مالاً في ذمة السفيه بإملاء الذي له الدين؟ هذا شيء ليس في الشريعة، والقول ضعيف، إلا أن يريد قائله أن الذي لايستطيع أن يمل بمرضه إذا كان عاجزاً عن الإملاء فليمل صاحب الحق بالعدل، ويسمع الذي عجز، فإذا أكمل الإملاء أقربه، وهذا معنى لم تعنِ الآية إليه، ولايصح هذا

(١) انظر معاني القرآن: ١/٣٦٣ .

(٢) انظر تفسيره: ١/٢٨٤ .

(٣) انظر تفسيره: ١/٣٤٩ .

(٤) انظر تفسيره: ١/١٦٨ .

(٥) انظر تفسيره: ٣/٣٨٨ .

(٦) انظر تفسيره: ١/٣٨٠ .

(٧) انظر تفسيره: ١/١٤٠ .

(٨) انظر تفسيره: ١/١٦٤ .

(٩) انظر تفسيره: ٢/٧٢٦ .

(١٠) انظر تفسيره: ٢/٦٥٥ .

(١١) انظر تفسيره: ١/٣٧٧ .

(١٢) انظر الطبري: ٦/٦٠ .

(١٣) انظر المراجع السابقة .

إلا في من لايستطيع أن يملّ بمرض[1]. أهـ .

ثالثاً: أنه قول غالبية المفسرين، وهو المفهوم من سياق الآية، المتبادر إلى الذهن.

٦٩– قوله تعالى: ﴿ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله﴾ [البقرة: ٢٨٢]

اختلفوا في مرجع الهاء من (تكتبوه) على ثلاثة أقوال:

الأول: وهو قول مجاهد، ورجحه ابن جرير، أن الضمير راجع إلى الدين[2]. وجوزه الزمخشري[3]، وأبوحيان[4].

الثاني: أنه راجع إلى الحق، جوزه الزمخشري[5]، وأبو حيان [6].

الثالث: أنه راجع إلى الكتاب المفهوم من قوله: (فاكتبوه)، جوزه الزمخشري[7].

والذي يظهر لي أن الأقوال متقاربة، فالحق هنا بمعنى الدين، والكتاب بمعنى المكتوب وهو الدين أيضاً فلا تغاير بين ثلاثة الأقوال –والله أعلم.

---

(١) انظر المحرر الوجيز: ١/٣٨٠ .

(٢) انظر تفسير ابن جرير: ٦/٧٦ .

(٣) انظر الكشاف: ١/١٦٨ .

(٤) انظر البحر: ٢/٧٣٦ .

(٥) انظر الكشاف: ١/١٦٨ .

(٦) انظر البحر: ٢/٧٣٦ .

(٧) انظر الكشاف: ١/١٦٨ .

٧٠- قوله تعالى: ﴿فإنه آثم قلبه﴾ [البقرة: ٢٨٣]

في الضمير من (فإنه) قولان:

الأول: أنه عائد إلى (من) في قوله: (ومن يكتمها) رجحه السمين[١]، وجوزه العكبري[٢].

الثاني: أنه ضمير الشأن، والجملة بعده تفسير له. ذكره العكبري[٣]، والسمين[٤].

❁ ❁ ❁

(١) انظر الدر المصون: ٢/٦٨٤ .

(٢) انظر التبيان: ١/٢٣٣ .

(٣) انظر التبيان: ١/٢٣٣ .

(٤) انظر الدر المصون: ٢/٦٨٤ .

الخـــاتمـــة

من خلال هذا البحث الذي أسأل الله أن ينفع به تبينت لي أمور أهمها ما يلي:

أهمية هذا الموضوع، فالمفسر إذا لم يتبين له مرجع الضمير في الآية، فإنه لايمكن أن يعرف معناها وكثير من الضمائر تحتمل أوجهاً متعددة ويختلف معنى الآية بحسب مرجع الضمير في كثير من الآيات، كما أنه قد يرد الضمير إلى غير مرجعة فيفسر الآية بناءً على ذلك تفسيراً خاطئاً.

ضرورة إكمال هذا الموضوع لما له من الفائدة التي لا أظن أن أحداً يخالفني فيها، وسأقوم بإخراجه إن شاء الله في أبحاث متواصلة كما أشرت الى ذلك في أول البحث.

أن الضمائر في القرآن الكريم تحتاج إلى خدمة كبيرة، وخصوصاً من حيث إبراز قواعدها ودراستها دراسة وافية مدعمة بالأمثلة وكذلك من حيث النكت المترتبة على مجيء ضمير مكان ضمير آخر أو العدول عنه الى مضمر .

أن حصر هذه الضمائر فيه مشقة بالغة، حيث ترى كثيراً من المفسرين لايذكر إلا وجهاً واحداً هو ما يترجح عنده ويعرض عما سواه وقد يكون الوجه الذي ذكره مرجوحاً، فيظن القارئ أنه لايصح إلا ذلك الوجه .

هناك ضمائر محتملة في نظري لم أقف على من تكلم عليها من المفسرين وستأتي إن شاء الله في البحث التالي لهذا البحث .

هذا وأسأل الله تعالى أن يحسن خاتمتي وخاتمة كل مؤمن إنه جواد كريم وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد .

المصادر والمراجع

١- الإصابة في تمييز أسماء الصحابة . لابن حجر العسقلاني . دار الكتب العربية. بيروت

٢- أنوار التنْزيل وأسرار التأويل. لأبي الخير عبدالله بن عمر البيضاوي. إعداد/ محمد عبدالرحمن المرعشلي. دار إحياء التـــراث العربي. بيروت . ط الأولى ١٤١٨هـ .

٣- البحر المحيط . لأبي حيان . نشر المكتبة التجارية . مكة المكرمة

٤- البداية والنهاية . لابن كثير. ت: د.أحمد أبوملحم وجماعة . دار الكتب العلمية . بيروت.

٥- بغيـــة الوعاة في طبقـــات اللغويين والنحـــاة. للسيـــوطي . ت / محمد أبو الفضل . دار الفكر ط الثانية: ١٣٩٩هـ

٦- التبيان في إعراب القرآن . للعكبري . ت / علي محمد البجادي . مكتبة ابن تيمية .

٧- التحرير والتنوير . لابن عاشور. مكتبة العلوم والحكم . المدينة .

٨- تفسير القرآن العظيم مسنـــداً عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين . لابن أبي حاتم. ت/أحمد الزهراني . مكتبة الدار . دار طيبة. دار ابن القيم، ط الأولى، ١٤٠٨هـ .

٩- تفسير القرآن.لأبي المظفر السمعاني.ت/ياسر إبراهيم. دار الوطن . الرياض. ط الأولى١٤١٨هـ.

١٠- تفسير القرآن العظيم. لابن كثير. دار المعرفة. بيروت. ط الأولى ١٤٠٧هـ.

١١- تفسير غريب القرآن . لابن قتيبة . ت / أحمد صقر، دار الكتب العلمية. بيروت. ط ١٣٩٨هـ.

١٢- تقريب التهذيب . لابن حجر العسقلاني . دار المعرفة، بيروت. ط الثانية ١٣٩٥هـ.

١٣- تفسير النسفي . لأبي البركات عبدالله أحمد بن محمود النسفي . دار إحياء الكتب العربية .

١٤- تهذيب التهذيب لابن حجر . دار الفكر، بيروت، ط الأولى ١٤٠٤هـ

١٥- الجامع لأحكام القرآن . للقرطبي . مكتبة الرياض . ط الثانية .

١٦- جامع البيان عن تأويل القرآن . للطبري . ت / محمود شاكر . مكتبة ابن تيمية . ط الثانية.

١٧- حجة القراءات. لابن زنجلة. ت/ سعيد الأفغاني. مؤسسة الرسالة. ط الرابعة ١٤٠٤هـ.

١٨– الحجـــة للقراء السبعة . للفارسي . ت/ بدر الدين قهوجي وبشير جويجابي . دار المأمون للتراث. ط الأولى ١٤٠٤هـ .

١٩– الدر المصـــون في علوم الكتاب المكنون. للسمين الحلبي . ت/ الدكتور أحمد محمد الخراط . دار القلم. دمشق . ط الأولى ١٤٠٦هـ.

٢٠– الدر المنثور في التفسير المأثور. للسيوطي. دار الكتب العلمية. بيروت. ط الأولى ١٤١١هـ.

٢١– زاد المسير في علم التفسير. لابن الجوزي. المكتب الإسلامي. بيروت. ط الرابعة ١٤٠٧هـ.

٢٢– سير أعلام النبلاء . للذهبي. مؤسسة الرسالة. ط السابعة ١٤١٠هـ.

٢٣– طبقات الشافعية الكبرى . للسبكي . ت/ عبدالفتاح الحلو . ط الأولى .

٢٤– الطبقات الكبرى . لابن سعد . دار بيروت . ط ١٤٠٥هـ.

٢٥– طبقات المفسرين . للداوودي. ت / علي محمد عمر . مكتبة وهبة

٢٦– غـــاية النهاية في طبقات القراء، لأبي الخير محمد بن محمد الجزري، دار الكتب العلمية . لبنان. ط الثالثة ١٤٠٢هـ .

٢٧– فتـــح القدير الجامـــع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني . دار الفكر . بيروت. ط ١٤٠٣هـ

٢٨– الكشاف عن حقائق التنْزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري. دار المعرفة. بيروت.

٢٩– الكشـــف عـــن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها . لمكي بن أبي طالب.

٣٠– ت/الدكتور محي الدين رمضان. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط الرابعة ١٤٠٧هـ.

٣١– معالم التنْزيل . للبغوي . ت/ محمد عبدالله النمر وعثمان جمعة وسليمان مسلم . دار طيبة. الرياض. ١٤٠٩هـ.

٣٢– معاني القرآن . لأبي زكريا القراء . ت / أحمد يوسف ومحمد علي . دار السرور .

٣٣– معاني القرآن وإعرابه. للزجاج. ت/ الدكتور شلبي. عالم الكتب. بيروت. ط الأولى ١٤٠٨هـ .

٣٤– معرفة القراء الكبار . للذهبي . ت / بشار عواد وشعيب الأرناؤوط وصالح مهدي .

مؤسسة الرسالة . بيروت . ط الأولى ١٤٠٤هـ.

٣٥- نزهة الألباء في طبقات الأدباء . لابن الأنباري . ت/ الدكتور إبراهيم السمرائي. مكتبة المنار. الأردن. ط الثالثة ١٤٠٥هـ.

٣٦- النكت والعيون. لأبي الحسن الماوردي . ت/ السيد عبدالمقصود . دار الكتب العلمية. بيروت ط الأولى ١٤١٢هـ .

٣٧- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين . لاسماعيل باشا . مكتبة ابن تيمية

فهرس الموضوعات

تمهيـــد ١٣
- أهميته وأسباب اختياره : ١٤
- المنهج المتبع لإخراج هذا البحث ١٤
- خطة البحث ١٦

١– قوله تعالى: ﴿ذهب الله بنورهـم ﴾ [البقرة: ١٧] ١٧

٢– قوله تعالى: ﴿ فأتوا بسورة من مثله ﴾ [البقرة: ٢٣] ١٨

٣– قوله تعالى: ﴿وبشر الذين آمنوا﴾ [البقرة: ٢٥] ٢١

٤– قوله تعالى: ﴿وأتوا به متشابهاً﴾ [البقرة: ٢٥] ٢٢

٥– قوله تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم﴾ [البقرة: ٢٦] ٢٣

٦– قوله تعالى:﴿يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً...﴾[البقرة: ٢٦] ٢٤

٧– قوله تعالى: ﴿من بعد ميثاقه ﴾ [البقرة: ٢٧] ٢٥

٨– قوله تعالى: ﴿ثم إليه ترجعون﴾ [البقرة: ٢٨] ٢٥

٩– قوله تعالى: ﴿فسواهن سبع سموات﴾ [البقرة: ٢٩] ٢٦

١٠– قوله تعالى: ﴿فأزلهما الشيطان عنها ﴾ [البقرة: ٣٦] ٢٨

١١– قوله تعالى: ﴿وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو﴾ [البقرة: ٣٦] ٣١

١٢– قوله تعالى: ﴿قلنا اهبطوا منها﴾ [البقرة: ٣٨] ٣٢

١٣– قوله تعالى: ﴿ولا تكونوا أول كافر به ﴾[البقرة: ٤١] ٣٢
١٤– قوله تعالى: ﴿وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ [البقرة: ٤٥] ٣٤
١٥– قوله تعالى: ﴿الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ...﴾ [البقرة: ٤٦] ٣٦
١٦– قوله تعالى: ﴿واتقوا يوماً لا تجزي نفس... ﴾ [البقرة: ٤٨] وكذا [آية ١٢٣] ٣٧
١٧– قوله تعالى: ﴿ثم اتخذتم العجل من بعده﴾ [البقرة: ٥١] ٣٨
١٨–قوله تعالى: ﴿فجعلناها نكالاً لما بين يديها ...﴾[البقرة: ٦٦] ٣٩
١٩– قوله تعالى: ﴿وإن منها لما يهبط من خشية الله ﴾ [البقرة: ٧٤] ٤١
٢٠– قوله تعالى: ﴿ليحاجوكم به ﴾ [البقرة: ٧٦] ٤٢
٢١–قوله تعالى: ﴿وهو محرم عليكم إخراجهم﴾[البقرة: ٨٥] ٤٣
٢٢– قوله تعالى: ﴿وما هو بمزحزحه من العذاب ...﴾ [البقرة: ٩٦] ٤٥
٢٣– قوله تعالى: ﴿فإنه نزله على قلبك﴾ [البقرة: ٩٧] ٤٧
٢٤– قوله تعالى: ﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ [البقرة: ٩٧] ٤٩
٢٥– قوله تعالى: ﴿وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا ...﴾ [البقرة: ١٠٢] ٥٠
٢٦– قوله تعالى: ﴿فيتعلمون منهما ﴾ [البقرة: ١٠٢] ٥١
٢٧– قوله تعالى: ﴿وما هم بضارين به من ...﴾ [البقرة: ١٠٢] ٥٢

٢٨–قوله تعالى: ﴿ولقد علموا لمن اشتراه ماله في ...﴾ [البقرة: ١٠٢] ٥٢

٢٩– قوله تعالى: ﴿لمن اشتراه﴾ [البقرة: ١٠٢] ٥٤

٣٠– قوله تعالى: ﴿ولو أنهم آمنوا ﴾ [البقرة: ١٠٣] ٥٥

٣١– قوله تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الله ولداً ﴾ [البقرة: ١١٦] ٥٥

٣٢– قوله تعالى: ﴿أولئك يؤمنون به ﴾ وقوله ﴿ومن يكفر به﴾ [البقرة: ١٢١] ٥٧

٣٣– قوله تعالى: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم﴾ [البقرة: ١٢٨] ٥٧

٣٤– قوله تعالى: ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه﴾ [البقرة: ١٣٢] ٥٩

٣٥ – قوله تعالى: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا... ﴾ [البقرة: ١٣٦] ٦٠

٣٦– قوله تعالى: ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به﴾ [البقرة: ١٣٧] ٦١

٣٧– قوله تعالى: ﴿وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله﴾ [البقرة: ١٤٣] ... ٦٢

٣٨–قوله تعالى: ﴿وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم﴾ [البقرة: ١٤٤] ٦٣

٣٩– قوله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه ...﴾ [البقرة: ١٤٦] ٦٤

٤٠–قوله تعالى: ﴿ولكل وجهة هو موليها ﴾ [البقرة: ١٤٨] ٦٥

٤١– قوله تعالى: ﴿خالدين فيها ﴾ [البقرة: ١٦٢] ٦٧

٤٢ – قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم﴾ [البقرة: ١٧٠] ٦٨

٤٣– قوله تعالى: ﴿ويشترون به﴾ [البقرة: ١٧٤] ٦٩

٤٤– قوله تعالى: ﴿وآتى المال على حبه﴾ [البقرة: ١٧٧] ٧٠

٤٥– قوله تعالى: ﴿فمن بدله بعدما سمعه فإنما أثمه...﴾ [البقرة:١٨١] ٧٢

٤٦– قوله تعالى: ﴿فأصلح بينهم ﴾ [البقرة: ١٨٢] ٧٤

٤٧– قوله تعالى: ﴿وعلى الذين يطيقونه﴾ [البقرة: ١٨٤] ٧٦

٤٨– قوله تعالى: ﴿وإن كنتم من قبله﴾ [البقرة: ١٩٨] ٧٦

٤٩– قوله تعالى: ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾[البقرة: ١٩٩] ٧٧

٥٠– قوله تعالى: ﴿ليحكم بين الناس﴾ [البقرة: ٢١٣] ٧٩

٥١– قوله تعالى: ﴿ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾ [البقرة: ٢١٣] ٨٠

٥٢– قوله تعالى: ﴿وما اختلف فيه ﴾ [البقرة: ٢١٣] ٨١

٥٣– قوله تعالى: ﴿إلا الذين أوتوه ﴾ [البقرة: ٢١٣] ٨٢

٥٤– قوله تعالى: ﴿وكفر به﴾ [البقرة: ٢١٧] ٨٣

٥٥– قوله تعالى: ﴿وإخراج أهله منه ﴾ [البقرة: ٢١٧] ٨٤

٥٦–قوله تعالى: ﴿ولا يحل لكم أن تأخذوا ...﴾[البقرة: ٢٢٩] ٨٥

٥٧– قوله تعالى: ﴿فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾ [البقرة: ٢٢٩] ٨٥

٥٨– قوله تعالى: ﴿فلا جناح عليهما أن يتراجعا﴾ [البقرة: ٢٣٠] ٨٦

٥٩– قوله تعالى: ﴿وإذا طلقتم النساء﴾ [البقرة: ٢٣٢] ٨٧
٦٠– قوله تعالى: ﴿فلا تعضلوهن﴾ [البقرة: ٢٣٢] ٨٨
٦١– قوله تعالى: ﴿ولو شاء الله ما اقتتل...﴾ [البقرة: ٢٥٣] ٨٩
٦٢– قوله تعالى: ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ [البقرة: ٢٥٥] ٩١
٦٣– قوله تعالى: ﴿في ربه﴾ [البقرة: ٢٥٨] ٩٢
٦٤– قوله تعالى: ﴿أن آتاه الله الملك﴾ [البقرة: ٢٥٨] ٩٢
٦٥– قوله تعالى: ﴿لا يقدرون على شيء مما كسبوا﴾ [البقرة: ٢٦٤] ٩٣
٦٦– قوله تعالى: ﴿ويكفر عنكم من سيئاتكم﴾ [البقرة: ٢٧١] ٩٤
٦٧– قوله تعالى: ﴿وأمره إلى الله﴾ [البقرة: ٢٧٥] ٩٥
٦٨– قوله تعالى: ﴿فليملل وليه﴾ [البقرة: ٢٨٢] ٩٦
٦٩– قوله تعالى: ﴿ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً...﴾ [البقرة: ٢٨٢] ٩٨
٧٠– قوله تعالى: ﴿فإنه آثم قلبه﴾ [البقرة: ٢٨٣] ٩٩
الخاتمة ١٠٠
المصادر والمراجع ١٠١
فهرس الموضوعات ١٠٤